ذاكرة العراق

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2043) السنة الثامنة

الإثنين (14) شباط 2011

14

ما أصل قصة "الموناليزا" العراقية؟

صور نادرة للملك فيصل الثاني ص ٨-٩

شارع غازي ... الشارع العتيق

التراب الذي تحول إلى قنابل في طوب (أبو خزامة)!

من خفايا انقلاب شباط الدموي 1963

أمست ثورة 14 تموز أهم مِعلِم من معالم عراق القرن العشرين. وقد عكست في إحدى جوانبها، صورة للتنافس الإقليمي وصراع مصالح الدول الكبرى الفاعلة في الساحة الدولية آنذاك، على الشرق الأوسط بعامةٍ والمشرق العربي منه بخاصةٍ، حيث كان العراق أحد بؤره المركزية من ناحية البعد الاستراتيجي، بكافة أبعاده الاقتصادية والسياسية وحتى العسكرية. لقد غيرت ثورة 14 تموز الجو السياسي في المنطقة كلها، إذ أدركت القوى العظمى، المسيطرة على اقتصاد الخليج، خطورة نشوب ثورات مماثلة في كل المنطقة.

ونتيجة لما حدث من تغيرٍ جوهري في عراق 14 تموز تعرضت مصالح ومواقع المراكز الرأسمالية الكبرى إلى صدمة كبيرة، والأخص بريطانيا ومن ثم الولايات المتحدة، إذا قارن رئيسها السابق آيزنهاور أحداث 14 تموز بأحداث الثورة الصينية، إذ قال في مذكراته:

عقيل الناصري

في صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ تلقيت بصدمة أنباء الانقلاب في بغداد ضد النظام الملكي الهاشمي. هذه هي البلاد التي كنا نعتمد عليها بكل ثقلنا في أن تكون الحصن الحصين للاستقرار والتقدم في المنطقة.. إذا لم يلق تحوّل الأحداث بهذه الصورة المعتمة الرد الشديد من جانبنا فقد يؤدي إلى إزالة كل النفوذ الغربي في الشرق الأوسط... وتحدثتُ مساءً في الخطاب الذي أذيع في الساعة السادسة والنصف، وأشرت إلى التماثل بين الوضع في لبنان وبين ما واجهنا في اليونان في سنة ١٩٤٧. كما لفت النظر إلى الانقلاب الشيوعي في تشكوسلوفاكيا في ١٩٤٨، وإلى الانتصار الشيوعي في الصين ١٩٤٩، وإلى محاولات الشيوعيين للسيطرة على كوريا والهند الصينية منذ عام ١٩٥٠ .

لقد أثر هذا التغيّر الجوهري، في يوم ١٤ تموز، في مجمل المسارات السياسية اللاحقة في منطقة الشرق الأوسط، سواءً فيما يخص:

. العلاقة بين المتناقضين الأرأسين المتناحرين آنذاك وهما العالم الرأسمالي، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، والعالم الاشتراكي، بقيادة الاتحاد السوفيتي السابق، كمفاهيم سياسية وفلسفة اجتماعية ومصالح استراتيجية؛

. العلاقة بين المتناقضين الا متناحرين الساعي كمل منهما لفرض هيمنته على المنطقة، وهما الولايات المتحدة وبريطانيا ؛

. واقع الصراع بين مصالح دول المنطقة الإقليمية، والدول العربية، وعلى الأخص المتحررة منها، حول قضيتها المركزية (فلسطين) وماهيتها كواقع وفكر، ومع إسرائيل كقاعدة للمراكز الرأسمالية.

غيرت ثورة ١٤ تموز من موازين القوى، ومن معادلات الصراع الدولي والإقليمي، وحتى بين المكونات الاجتماعية داخل العراق. مما دفع بالقوى المتضررة، وخاصة الخارجية منها، إلى العمل بقوة على إيقاف سريان مفعول تأثير الثورة على دول الجوار الحليفة لها في المنطقة، ومن ثم إعادة تعزيز القوى الاجتماعية الحليفة لها في داخل العراق بغية كبح الحصان الجامح وإعادته إلى الحظيرة . حسب تعبير مجلة الايكونومست البريطانية-.. متبعةً ثلاث مسارات رئيسية هي:

١ . مسار التدخل المباشر:

تمثل هذا المسار، منذ الأيام الأولى للثورة، في محاولات التدخل والاحتلال الخارجي المباشر لإسقاط النظام الجديد من قبل دول حلف بغداد، بالتعاون مع دول الجوار الحليفة لها. لكن هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع للأسباب الأرأسية الخمسة التالية:

١ . النجاح السريع والخاطف للثورة.

٢ . عمق التأييد الشعبي الذي لاقته الثورة منذ إعلانها، وسعة شموله الاجتماعية/ الأثنية لكل جغرافية العراق.

٣ . القضاء على ثلاثي أقطاب الحكم وهم: الملك، وولي العهد عبد الإله ورئيس الوزراء نوري السعيد.

٤ . الموقف الخارجي المساند للثورة والمتمثل بالدرجة الأولى في موقف الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي.

٥ . التناقض في المواقف الإستراتيجية المستقبلية بين الأقطاب الرئيسية لدول حلف بغداد ، وعلى الأخص بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، العاملة على فرض سيطرتها على عموم المنطقة وطرد الأولى منها .

هذه العوامل تفاعلت فيما بينها جدلياً وأسقطت ذريعة التدخل الخارجي المتبرقع بـ (الشرعية الدفاعية) لدول الحلف وكبحت جماحه بالتزامن مع جملة من العوامل الرئيسية التي يمكن إيجازها في :

. السرية والكفاءة العاليتين في التحضير والإعداد للثورة وبالتالي المباغتة في التنفيذ.

– السيطرة على المناطق الحيوية في العاصمة العراقية، بغداد، وبقية المعسكرات المهمة.

. الإحباط والإجهاض الفوريين للتحركات العسكرية المضادة، التي قامت بها الوحدات العسكرية المتمركزة في: الديوانية والمسيب والناصرية و كركوك.

. انعدام وجود شخصية بارزة ومؤثرة من نخب الحكم السابقة، تقود حركة المقاومة (الثورة المضادة) وتطلب التدخل من دول حلف بغداد أو/و الاتحاد الهاشمي.

. استدعاء قادة الثورة بعض كبار الإقطاعيين وشيوخ العشائر الكبرى إلى بغداد، وبخاصة المالكين لقوى مسلحة، بغية إغلاق منافذ تحركاتهم المحتملة المناهضة للثورة؛

. النشاط الدبلوماسي الهادئ والواعي والسريع، الذي عبرت به الثورة عن ذاتها ومكوناتها، سواءً في البيان الأول أو مقابلاتها لأعمدة السلك الدبلوماسي الغربي وبخاصة دول حلف بغداد وأمريكا.

. طبيعة الخطاب السياسي الموزون والمتسم بالحذر والحيطة، الذي أكد على أهمية تدفق النفط، مما طمأن المصالح الغربية والدول المستهلكة له وهدأ من بواعث تدخلهم .

. تأمين الحماية للرعايا الأجانب المقيمين في العراق مما أغلق منفذ التدخل الخارجي بحجة حماية الرعايا؛

. تأكيد حكومة الثورة على احترام المواثيق والاتفاقات الدولية المبرمة، كميثاق الأمم المتحدة ومؤتمر باندونغ، مما أضفى الطبيعة الحيادية الإيجابية للثورة، وبالتالي نزع فتيل التدخل الغربي.

. عمق تأييد شعوب دول الجوار وبعض حكوماتها، وحركات التحرر في العالم الثالث والذي تجلى في سرعة الاعتراف الدولي بالنظام الجديد (٢٢ دولة اعترفت في اليوميين الأولين).

ونتيجة لهذه العوامل جميعها، إضافة إلى التخوف من احتمال المواجهة مع دول المعسكر الاشتراكي آنذاك، ولاستتباب النظام في بغداد، فقد أجبر الغرب، متمثلاً بدول حلف بغداد، على التخلي عن استخدام القوة العسكرية لعودة النظام القديم، مبررةً ذلك بتكرارها القول أنها بذريعة مبدأ آيزنهاور أنزلت قواتها في لبنان، وهذا لا ينطبق على ما يحدث في العراق الجمهوري، مما يعني شل قدرتها على التدخل العسكري المباشر وعدم سماحها لدول الجوار التابعة لها القيام بمثل هذا العمل. وبإخفاق هذه السياسة، اتفقت دول حلف بغداد والولايات المتحدة (مجبرةً) على إتباع سياسة جديدة تمحورت خطوطها العامة في:

. التخلي عن فكرة التدخل المباشر من قبلهم؛

. عدم تشجيع دول الجوار الحليفة على القيام بمغامرة عسكرية، وبخاصةً من قبل تركيا والأردن.

. دعم هذه الدول الحليفة عسكرياً وسياسياً وأمنياً، ومنع سريان مفعول الثورة إليها

. الحفاظ على الحالة السياسية في دول المنطقة بعامةٍ والخليج بخاصةٍ، وقمع التعاطف الشعبي مع ثورة العراق ومنع تطوره وتماثله لما حدث فيه وبقاءها ضمن الفلك الغربي.

وإزاء ذلك قررت دول المراكز الرأسمالية أتباع مسار آخر لكبح جماح التغيّر في العراق والمنطقة.

٢ . مسار سياسة الاحتواء (الترغيب والترهيب):

حاولت الدول الغربية، ضمن منطق ماهيتها الاستعمارية، إعادة فرض هيمنتها السياسية والاقتصادية ببعديهما الاستراتيجيين، من خلال عملية احتواء النظام الجديد بكل السبل الممكنة وغير الممكنة (وذلك باتباع أساليب عدة تستهدف زعزعة النظام وتفتيت قاعدته الاقتصادية

جعلت هذه السياسات التي اتبعتها سلطة تموز/ قاسم، في العراق أخطر بقعة في العالم، حسب المفهوم الامبريالي، وبخاصة الامريكي، المستند على منطق القوة والتي ماهيتها: [مسموح له بكل اشكال الإجبار والقسر، بما فيها حروب الدمار، وهذا يعني أن الصراع من أجل القوة هو بذاته الصراع من أجل البقاء، لذلك فإن تحسن مراكز القوة لابد أن يصبح الهدف الأول للسياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة...

وتحجيم قواه الاجتماعية، لأجل كبح استمرارية تطوره المستقل، وكذلك اصطناع إثارة العديد المصاعب الكامنة والتي يعود بعضها، موضوعياً إلى الطبيعة المتنوعة للمكونات الاجتماعية والسياسية والاثنية للعراق، كل ذلك بغية خلق حالة من اللااستقرار السياسي، الذي سينفي بدوره منطقياً، أية إمكانية في تطوره الاقتصادي، وبالتالي يعيق الثورة من تحقيق ذاتها وأهدافها المرسومة مما ينجم عنه تشتت قاعدتها الاجتماعية المستهدفة من قبلها أصلاً وزعزعة الثقة بالنظام وهذا يسهل بالتالي القضاء عليه.

تتوأمت وتزامنت هذه الوضعية، مع سياسة الترغيب، في البدء، ومن ثم الترهيب المبطن، ليصل الأمر إلى خاتمته المنطقية، المعلنة. وذلك عندما رأت المراكز الرأسمالية، أن السلطة الجديدة لم تخضع للتهديد والابتزاز ولم ترضخ لضغوطاتها المتعددة الابعاد، ولا لسياساتها، وعلى الأخص فيما يتعلق بأحد أهم مضامين الصراع الدولي في المنطقة، ألا وهو النفط والذي تعتمد عليه ماكنة هذه المراكز الصناعية/العسكرية.

كان صعود التيار الديمقراطي ذو القاعدة الشعبية الواسعة، وعلى وجه الخصوص اليساري منه الذي رنا إلى اختصار زمن قهره المادي والمعنوي، في مثل هذه المنطقة المهمة وضمن لعبة التوازنات الدولية الأكثر حساسية، قد أخاف هذه المراكز (الرأسمالية) من قوة التماثل معها في دول المنطقة.. بمعنى آخر تكاثفت في الظاهرة السياسية للحكم الجديد، صيرورة متكونة من أربعة أبعاد، اعتبرت من محرمات السياسة الدولية وفقاً للمنطق الامبريالي، هي:

. حكم وطني مستقل في توجهاته، ذو نزعة اجتماعية اصلاحية تقدمية، بكل معنى المفردة، لمصلحة قاعدة اجتماعية واسعة حكم لها وإن كان بدونه.

. سياسة نفطية مستقلة عن الاحتكار العالمي.

. سياسة عربية ذات منطق تحرري لواقع انتمائه القومي وقضيته المركزية (فلسطين) وتحررهما.

. سياسة خارجية بعيدة عن التكتلات والاحلاف العسكرية الدولية ضمن مفهوم الحياد الايجابي.

جعلت هذه السياسات التي اتبعتها سلطة تموز/قاسم، في العراق أخطر بقعة في العالم، حسب المفهوم الامبريالي، وبخاصة الامريكي، المستند على منطق القوة والتي ماهيتها: [مسموح له بكل اشكال الإجبار والقسر، بما فيها حروب الدمار، وهذا يعني أن الصراع من أجل القوة هو بذاته الصراع من أجل البقاء، لذلك فإن تحسن مراكز القوة لابد أن يصبح الهدف الأول للسياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة... إن هذه القوة تعني البقاء وإمكانية أن نفرض إرادتنا على الآخرين...] هذه السياسة طبقت بجواهر مضامينها في العديد من مناطق العالم، ومنها في عراق تلك المرحلة. وعندما انتهى مسار التهديد (بكسر رأس الزعيم قاسم) حسب تعبير دين راسك، تم الشروع في تطبيق المسار الاخير:

٣ ـ مسار التغيير بالقوة (الانقلاب والاغتيال)

ونتيجة فشل سياسة الاحتواء من قبل قوى الهيمنة الامبريالية؛ وإصرار الحكم الوطني على اتباع سياسات من منطق تصوره المستقل؛ والمناقض لماهية إستراتيجية تلك القوى، وكمحصلة جدلية لها وما يستنبط منها؛ ولما أحدثته الثورة، كنتاج طبيعي، من اصطفافات طبقية نتيجة التناقض الاجتماعي داخل التركيبة الاجتماعية وطبقاتها المناظرة، وما أعقبها من هزيمة للقوى التقليدية والماضوية؛ وما وضعته الثورة العراقية أمام الطبقات الحديثة من صيرورة مفترق الطرق بين التقدم نحو تعميق المضامين الاجتصادية أوالتراجع عنها، أو المراوحة في المكان ذاته، الذي هو شكل من أشكال التراجع، لها ولنظيراتها في دول الجوار الساكن؛ وما أحدثته فيهم من حالة وعي الضرورة وبالذات في الفئات الوسطى وإمكانية تملك المستقبل أو على الأقل التأثير في جريانه، ومن ضمنها التحالفات على المستويين الداخلي والعربي، الاقليمي والدولي وإيقاعها المتناغم مع واقع الامة العربية وطموحاتها في التحرر والوحدة، المبنية على الارادة الكلية لشعوبها وليس للإنتقائية الرغبوية لقادتها.

وعلى خلفية هذا الوضع وما أفرزه من توترات وصراعات، من حركة واستقطاب، من مخاوف واستفزاز، تحالفت القوى المتضررة من الثورة، لأول مرة في عراق القرن العشرين، مع القوى الخارجية التي كانت بدورها تبحث عن أدوات جديدة لها، لتنفيذ قرار إسقاط سلطة تموز/قاسم بالقوة المادية المدعومة من قبلها( ). لأن الدوائر الامريكية رأت أنه [كان واضحاً منذ البداية، أن النظام الجديد (يقصد نظام تموز/ قاسم . الناصري)، لا يمكن الاطاحة به، إلا بقوة خاطفة ومتفوقة من الخارج...] حسب تعبير والدمار غولمان، السفير الامريكي السابق في العراق في الفترة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨.

وعلى ضوء هذا الرأي وذلك الواقع المعقد تم التحالف بين القوى المتضررة داخلياً والقوى الخارجية لإسقاط النظام الوطني في انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣. ولايخفى أن القوى الانقلابية سبق أن جربت العديد من المحاولات اعتمادا على قواها الذاتية الداخلية، لكنها فشلت في تحقيق ذلك لعوامل عديدة، لذا اتجهت نحو الاعتماد على الخارج في تحقيق ذلك. إذ (مهما ابتعدنا عن الاستعانة بدليل لوجود قوي وفعال للعامل الدولي في عملية إسقاط ثورة ١٤ تموز والإجهاز عليها وإعدام قائدها في الحال، فإننا لا نجد مخرجاً سوى أن نكرر بأن العامل المحلي لم يكن على الإطلاق إلى جانب نجاح الانقلابين، فما زالت الأغلبية الساحقة من العراقيين مشدودة إلى عبد الكريم قاسم...

يوضح تاريخ الصراع السياسي على السلطة آنذاك، تشكل عدة محاور تهدف جميعها إلى قلب نظام الحكم، وإن لم يكن بينها اتفاق مسبق على ذلك، منها:

. المحور الإقليمي غير العربي والمتمثل بأنظمة حكم دول حلف بغداد السابق منها تركيا وإيران؛

. المحور العربي وكان يضم العربية المتحدة، ومن ثم مصر الناصرية بالإضافة إلى الأردن والكويت؛

. المحور الدولي والذي ضم أهم المراكز الرأسمالية العالمية وبخاصة أمريكا وبريطانيا..

إذ [ظل العراق ولفترة طويلة ساحة مفتوحة أمام النفوذ البريطاني، وقد لعبت كل من شركة النفط البريطانية والسفارة البريطانية والمخابرات البريطانية، أدواراً خطيرة في رسم معالم السياسة العراقية، وقد وصل الأمر بهذا الثالوث أن صار ممثلاً للنفوذ البريطاني. وبمجيء ((عبد الكريم قاسم)) حدثت هزّة للنفوذ البريطاني وصلت إلى أوجها حينما أقدم ((عبد الكريم قاسم)) على إصدار قانون رقم ٨٠... ثم كانت مطالبته بانضمام الكويت إلى العراق عام ١٩٦١، مما زاد في حدة مخاوف بريطانيا وتعميق قلقها على مصالحها في المنطقة.

وقد بذل الكارتل الثلاثي (السفارة، المخابرات، الشركة) جهوداً مكثفة في محاولة إستعادة النفوذ المفقود أو بعضه على الأقل. وقد اضطلعت بهذه المهمة بشكل أساس، المخابرات البريطانية عبر التنسيق مع عملائها القدامى والجدد... دون أن تقلل بالطبع من أهمية الدور الذي قام به سفير بريطانيا في بغداد يومذاك السير روجر آلن].

رغبت جميع هذه المحاور أن تتم عملية إسقاط حكم عبد الكريم قاسم بأيدي عراقية تحديداً، وهذا ما ينسجم مع العمليات السوقية التي كانت تقوم بها الولايات المتحدة في المنطقة آنذاك وبواسطة المؤسسة العسكرية والامنية. ويلاحظ أن الخط العام لإسقاط أنظمة الحكم الوطنية، وفقاً لهذا السيناريو، تمثلت في إحداث واصطناع العديد من الاشكاليات وتأزيم الموقف الاجتصادي والسياسي والامني لزعزعة الثقة بالنظام ومن ثم تهيئة الظروف لنزول القوات المسلحة لتسيطر على الموقف وتزيل الحكومات غير المرغوب فيها، حسب وجهة نظرها.

لقد سبق وأن جربت هذا الاسلوب في البدء ضد الحكومات التقدمية في أمريكا اللاتينية كما جربته . وكان هذا العمل التأريخ الأول لتدشين الحقبة الامريكية في المنطقة، منذ نهاية الاربعينيات في الشرق الاوسط بدءاً من سوريا (انقلابات الزعيم والحناوي والشيشكلي) والمحاولة التي جرت زمن شكري القوتلي عام ١٩٥٦ ومن ثم جربته بنجاح لإسقاط حكم مصدق في إيران وحكم فاروق في مصر( )، ومن ثم في اندونيسيا سوكارنو، وشيلي أللينذي وغيرها.

كما حاولت الولايات المتحدة تطبيق هذا الشكل من الانقلابات حتى في عراق العهد الملكي، ضد النخبة الحاكمة في خمسينيات القرن المنصرم وذلك عندما: [اتصل الأمريكان بكامل الكيلاني، شقيق رشيد عالي وأبدوا استعدادهم للتعاون والتفاهم مع حزب الاستقلال من أجل تغيير النظام الملكي إلى جمهوري ودعم حزب الاستقلال إذا وافق على هذا الاتجاه. وبالفعل اتصل الكيلاني بالحزب وعرض رغبة الامريكان هذه ولكنه (شنشل أمين عام الحزب) رفض التعاون أو التفاهم مع الامريكان وقال أنه لا يريد تبديل إستعمار بأخر.

ومن باب أولى أن تشتد وتائر هذه النزعة بعد ثورة ١٤ تموز التي أرّخت لحقبة جديدة ومتميزة عما سبقها وما تلاها، من حيث المضامين الاقتصادية والسياسية، ومن حيث الضرورة التاريخية ولزوميتها. مما حفز القوى المتضررة هذه، الداخلية والخارجية،

المدرعة التي نقل فيها عبد الكريم قاسم من وزارة الدفاع الى الاذاعة

الخراب الذي حل بوزارة الدفاع

عبد الكريم قاسم

المهداوي

على الاطاحة بالنظام بغض النظر عن الاسلوب وعواقبه، والعنف ودمويته. إذ حددت هذه القوى لنفسها تحقيق ثلاثة أهداف آنية مباشرة هي:

. القضاء على الزعيم قاسم وتوجهاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

. محاولة اجتثاث قوى التيار الديمقراطي بعامة واليسار بخاصة والشيوعي على الأخص مرة وإلى الأبد؛

.محاولة إجهاض تطوير المؤسسة العسكرية العراقية، كفكر عسكري وأسلحة متطورة وكوسيلة دفاعية وأداة تحررية، وذلك عن طريق إبعاد الاتحاد السوفيتي من المنطقة، لكونه المورّد الرئيسي لسلاح العراق بعد تموز ١٩٥٨ بغية أن لا تكون متكافئة في صراعها مع إسرائيل، ناهيك عن تهديدها.

٢

وهكذا تكالبت القوى الداخلية والخارجية في تحقيق أهدافها المعلنة وغير المعلنة عبر الانقلاب العسكري المدعوم من الخارج، وعبر تأجيج الاحتراب السياسي، والذي، كما أشرنا سابقاً، كان بعضه مبرراً كرد فعل موضوعي قامت به الطبقات والفئات الاجتماعية (المهزومة) تاريخياً وعملياً نتيجة فعل الثورة. والبعض الآخر كان غير مبرر مطلقاً وبكل المقاييس. وأعني به ذلك الصراع الذي نشب بين القوى السياسية التي في جوهرها تعبر، بصورة نسبية كبيرة، عن أهداف الثورة ذاتها وما يتلاءم مع زمنية المرحلة وماهياتها التاريخية، وهي في نفس الوقت تمثل جوهر طموحها المبتغى آنذاك. وبأنه الصراع بين التيارين القومي، وبالأخص الجمهوري منه، واليساري وبخاصة الشيوعي.

لقد تزامن هذا الصراع مع تشتت التيار الوطني الديمقراطي الواسع وممثله الأرأس الحزب الوطني الديمقراطي وعجز قيادته عن مواكبة المرحلة التي كانت في الجوهر مرحلته. ترافق ذلك مع انكفائية التيار القومي الكردي وأنوية قيادته وعشائرية زعامته وخطل تكتيكه.. كلها عوامل، وغيرها، أضاعت فرصة تاريخية ندرت بها ظروف عراق القرن العشرين والوقت الراهن. وما يحل بالعراق الآن، هو في بعض أوجهه نتاج لذلك الصراع والضياع.

كما عمدت شركات النفط الاحتكارية إلى تخفيض الإنتاج والأسعار، مما عمق من الأزمة المالية، التي أثرت على حالة السوق وآليته. وتحركت القوى المتضررة المضادة للثورة في الريف من أجل تعميق الأزمة الداخلية كي يتاح لها استعادة بعض من مكانتها المفقودة بفعل الثورة وإجراءاتها. كما شرع طلبة التيار القومي والمنضويين تحت خيمته وبمساندة اتحاد طلبة كردستان في إضرابهم وعرقلة الدراسة في المعاهد العليا

وعلى ضوء ذلك ومنذ النصف الأول من عام ١٩٦١ وخاصة بعد صدور قانون رقم ٨٠، تكثفت العمليات التآمرية الانقلابية وأخذت أبعادها التطبيقية تتجلى بالتوترات الاجتماعية والاقتصادية وتعبيراتها السياسية، بصورة مقصودة ومصطنعة، وازدادت حدة الاحترابات بين:

التيارات الأساسية المؤثرة؛ بين بعضها والسلطة الوطنية؛ بين السلطة الوطنية والحركة الكردية؛ بين السلطة وأغلب دول الجوار ومعها أمريكا وبريطانية؛ بين السلطة الوطنية ومصر الناصرية.. مما أدى منطقياً إلى التشتت والتباعد بين السلطة وقاعدتها الاجتماعية وبين عناصر قيادة الحكم ذاته؛ وسادت اللامبالاة/ العدمية إزاء مصير الجمهورية ونظام الحكم وعدم الاستقرار، وأغمضت مؤسسات الدولة الأمنية بصائرها عن التحركات المناهضة للسلطة، لا بل ساعدتهم في الوصول إلى مراميهم.

كما عمدت شركات النفط الاحتكارية إلى تخفيض الإنتاج والأسعار، مما عمق من الأزمة المالية، التي أثرت على حالة السوق وآليته. وتحركت القوى المتضررة المضادة للثورة في الريف من أجل تعميق الأزمة الداخلية كي يتاح لها استعادة بعض من مكانتها المفقودة بفعل الثورة وإجراءاتها. كما شرع طلبة التيار القومي والمنضويين تحت خيمته وبمساندة اتحاد طلبة كردستان في إضرابهم وعرقلة الدراسة في المعاهد العليا، واشتدت وتائر الحرب في كردستان التي حاربتها سلطة الزعيم قاسم بالوسائل السياسية، في حين حاربها ضباط التيار القومي بصورة عنفية قصدية آنذاك وبالعقلية العسكريةً المقترنة بأقسى وسائل القهر، بغية قطع أواصر إمكانية إعادة العلاقات بينها وبين السلطة التي بدأها الزعيم قاسم بإعلان وقف القتال من جانب واحد والعفو العام، في الوقت الذي نسقت قيادة الحركة الكردية مع قوى الانقلاب الإطاحة بالسلطة، كما مدت علاقاتها مع القوى الخارجية الغربية ودول الجوار لمناهضة الحكم الوطني، تحت يافطة (التعاون مع الشيطان)(٢٠).

وانغمس اليسار (الشيوعي تحديداً) في مطالبة السلطة ب (السلم في كردستان) حتى أصبح هذا الشعار، رغم أهميته الكبرى، مثبطاً لفعالية الإنذار الحزبي ذو الدرجة القصوى الذي كان قد أعلن منذ مطلع كانون الثاني ١٩٦٣، وهذا ما حال دون التصدي للانقلاب الذي بات معروفاً حتى من أي وحدة عسكرية سينطلق ومن هي قواه الرئيسية. وقد أدت حالة التناقض هذه التي كان يعيشها الحزب الشيوعي إلى عدم اتخاذه إجراءات ملموسة لمواجه الانقلاب وعجزه عن تنفيذ خطة الطوارئ التي أعدها لمواجهة ذلك(٢١).. وهذا يضع الباحث في حيرة في فهم كنه هذا التقاعس؟ ربما نجده في الصراع الداخلي الذي سكن لب العقل السياسي للكوادر العليا للحزب منذ أواسط عام ١٩٥٩:

[وهذا ما كنت أتحسسه فيما يطرح في المنظمات القاعدية وحتى اللجان المتفرعة في بغداد حيث ملت تلك المنظمات من عدم انقطاع التوجيهات الحزبية الصادرة إليها بضرورة التزام أقصى درجات الحذر واليقظة إزاء الأخبار المتكررة عن احتمالات قيام حركات تآمرية انقلابية تستهدف الحكم. إذ كانت تتوالى في بيانات الحزب منذ صيف عام ١٩٦٢ وحتى انقلاب شباط المشئوم. ولقد وصل الأمر جراء تكرار هذه الحالة، أن تراخت يقظة المنظمات القاعدية والجماهير الملتفة حول الحزب، مما سهل على المتآمرين في صبيحة يوم الجمعة ٨ شباط ١٩٦٣، انقلابهم بينما واجه الحزب حالة من الارتباك لم يستطع تجاوزها، وبالتالي فقد الحزب السيطرة، ليس فقط على الشارع، بل وعلى المنظمات الحزبية (وخاصةً في الجيش. ع.ن).

... ليس من الصحيح أن قيادة الحزب لم تنتبه إلى خطورة الأوضاع السياسية التي كانت تمر بها البلاد عشية الانقلاب. إذ إن شعوراً بذلك كان يعبّر عنه في مناسبة أو أخرى، ويبدو لي أن انشغال قيادة الحزب بموضوعة ((التكتل)) صيف وخريف ذلك العام، قد لعب دوراً في تأخير إحداث استدارة حادة في سياسة الحزب إزاء حكومة قاسم ونهجها، وما أن أوشكت القيادة على تصحيح سياسة الحزب أواخر عام ١٩٦٢ وأوائل ١٩٦٣ حتى كانت الفرصة قد أفلتت من قبضتها ووجه الانقلابيين بتخطيط ودعم المخابرات الأجنبية ضربتهم القاصمة بالحكم والحزب أيضاً](٢٢) (التوكيد منا . ع.ن(.

ومع ذلك فمن الناحية العملية لم تتخذ قيادة الحزب أي إجراء ملموس لمواجهة الانقلاب الوشيك الوقوع، سوى إصدار البيانات ودعوة الحكومة لإجراء تطهير واسع وفعال في صفوف الجيش، وهذا ما بدأ الزعيم قاسم القيام به، وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين وإعادة حرية العمل للحزب، كما دعوا الجماهير إلى أن تكون محترسة ومستعدة للرد كرجل واحد(٢٣(

في هذا الوقت الذي كان حزب البعث يعد عدته مع قوى الخارج، للانقضاض على السلطة الوطنية.

كانت حركة القوميين العرب، تعد هي الأخرى لحركة عسكرية، كان المفروض لها أن تتم في أول يوم عيد الفطر، أثناء الحفل الذي اعتادت جمعية المحاربين القدماء على إقامته. وكانت الحركة على أهبة الاستعداد لتنفيذ الخطة، وكانت تعتبر:

أهم مؤامرة انقلابية نسقتها حركة القوميين العرب، هي مؤامرة ٢٥ شباط ١٩٦٣ ((أول أيام عيد الفطر)) حيث تقرر اغتيال قاسم في نادي الضباط إبان استقباله للمعايدين. ويبدو أن الحركة من خلال قياديها الشابين البارزين نايف حواتمة وباسل الكبيسي، قد اتصلت بمجمل الكتل العسكرية القومية في الجيش في وقت واحد، كل على انفراد، فاتفقت مع كتلة اللواء الركن عبد العزيز العقيلي الموصلية الصغيرة ومع كتلة الضباط القوميين (صبحي عبد الحميد) المهمة وكتلة العميد الراوي (عبد الهادي) والمقدم حداد (جابر حسن). وطبقاً لمصادر كتلة صبحي عبد الحميد فإن خطة الحركة اعتمدت على كتلة الضباط القوميين وكان فريق الاغتيال بإمرة الرئيس الأول الركن فاروق صبري عبد القادر، إلا أنه طبقاً لمصادر كتلة الراوي . حداد، فإن فريق الاغتيال كان مؤلفاً من عشرة ضباط صغار جميعهم من كتلة الراوي . حداد وتولى تدريبهم على العملية المقدم جابر حسن حداد نفسه، غير أن هذه المصادر تشير في الآن ذاته إلى أنه تم الاتصال بكتلة صبحي عبد الحميد وأحاطتها علماً بالعملية من قبيل تنسيق الجهد... وكان مبدر الويس وعامر حمدان وعبد الرحيم سلمان وعبد الأمير الربيعي ضمن فريق الاغتيال](٢٤). (التوكيدات من-ع.ن)

لكن، في الوقت نفسه، لم تنسق حركة القوميين العرب مع حزب البعث، الذي حدد في البدء نفس التاريخ والمكان لاغتيال الزعيم قاسم. وكان الطرفان في (سباق المسافات الطويلة) للسيطرة على السلطة. إلا أن هذا الأخير (حزب البعث) قدم موعد انقلابه نتيجة تسرب أخباره للسلطة التي شرعت بإحالة العديد من ضباطه وأنصاره المشاركين على التقاعد. إذ صدرت القائمة الأولى بالمرسوم رقم ٣٤ في ٢٤ كانون أول/ ديسمبر ١٩٦٢ وبعدها صدر مرسومين آخرين برقم ٥٨ و٥٩ في ٣ و٤ شباط / فبراير ١٩٦٣، وكان المفروض صدور القائمة الرابعة في يوم ٩ شباط والتي تضم العديد من المشاركين الكبار في الانقلاب.

صور لاثار الدمار الذي احدثه الحرس القومي في وزارة الدفاع

صور لاثار الدمار في منطقة الصالحية

هنا برلين .. حي العرب

أول صرخة مدوية في العالم الغربي أطلقها يونس بحري

معن عبد القادر آل زكريا

تقديم

تلقيت دعوة كريمة من لدن الخطاط العراقي المبدع المعروف عالميا الأستاذ يوسف ذنون للاستماع إلى محاضرته في أصول اللغة العربية ومدى علاقتها باللغة الآرامية القديمة . وأخذت دوري في تهنئته على محاضرته وإعلان اكتشافه الاصيل لخطوط كتابة قديمة من بقايا آثار مدينة (الحضر) عاصمة الدولة العربية غرب العراق قبل الاسلام . شكرني المحاضر على تهنئتي ، ثم فاجأني بقوله انه يحتفظ بهدية يهمني أمرها جلبها معه من الأردن الشقيق إثر آخر محاضرة ألقاها في عمان .

أما الهدية فكانت ثلاثة أعداد من جريدة (الرأي) الأردنية على وفق تواريخ متسلسلة تقع بين (١١/٢١ - ١٢/١٢ /١٩٩٩) . وتتضمن الإعداد لمحات من التاريخ المعاصر كتبها الأستاذ الدكتور سامي الصقار، وتتعلق جميعا بتفاصيل حياة السائح العراقي يونس بحري وإذاعة برلين .

××××

ولا بد لي في البداية من تثبيت حقيقة هي أن المبحوث عنه (يونس صالح الجبوري) كان من أصدقاء والدي المرحوم (عبد القادر بن الحاج مصطفى بن الحاج زكريا التاجر) ومن جيله في الوقت عينه ومن أسرة سكنت الموصل منذ الفتح الإسلامي سنة ١٦ للهجرة. وإنني كاتب هذه الرسالة التقيت المذكور البحري في حفل خاص أقامته له جمعية الاقتصاديين العراقيين فرع الموصول في أمسية من ربيع سنة ١٩٧٥ احتفاء بعودته بعد غيبة طويلة إلى مدينة الموصل (الحدباء - أم الربيعين).

ويوم شارك والدي مع المؤرخ الموصلي المرحوم (عبد المنعم الغلامي) ونفر آخر في تأسيس جمعية الشباب العراقي في بغداد في منتصف العشرينيات وكان مقرها في محلة (سوق الصفافير) مركز بغداد القديمة ، كان البحري يومها طالبا في دار المعلمين الابتدائية التي كان مديرها المربي المرحوم (ساطع الحصري) . وكان البحري يقضي مبيته في احدى غرف الجمعية ويوزع انشطتها المكتوبة ونشراتها على دراجة هوائية . لكن لم يطل المقام ببونس في دار المعلمين يومها ، فتخاصم مع المدير (الحصري) وحرض الطلبة على الاضراب فصدر امر من الادارة بفصله من الدار فتركها مغادرا إلى البصرة ومن ثم إلى باخرة كانت راسية في شط العرب سافرت إلى عبادان ، ومن هناك إلى نيس في جنوب فرنسا وامتدت رحلته طوال سنتين ليصل إلى استراليا ويعود إلى بلده العراق سنة ١٩٢٤ .

وكنت منذئذ أرافق والدي في جلساته الخاصة في الدواوين والمقاهي، فتعلقت باسم الرجل الأسطورة وأنا استمع بشغف وذهول إلى قصته يرويها والدي إلى أصدقائه، مرة بصيغة المعجب وأخرى بصيغة المتندر .. ! فتكونت عندي بمرور الزمن فكرة واسعة وملونة عن حياة السائح البحري إلى أن نضج الموضوع ليغدو مشروعا كبيرا ابتدأته في فاتحة سنة ١٩٩٤ .وقد لاقيت في سبيله كثير من الصعوبات ، وواجهت لأجله شتى أنواع العراقيل حتى انتهت رحلتي مع قصة حياته في أواخر شهور سنة ١٩٩٩ بانجاز عمل كبير. وعندما قرأت مقالات الدكتور (الصقار) الدقيقة والرائعة، كنت من شدة الغبطة لا يسعني إلا أن احمل إليه كل باقات الحب والمودة واعدا إياه أن أكون ذلك القارئ (الباحث / الكاتب) الذي تمنى أن يتصدى لدراسة سيرة حياة يونس بحري. فقد كتبت ما يوازي ألف صفحة مخطوطة من البحث والتحليل والسرد مدعومة بعشرات الصور الشخصية ، فضلا عن العديد من الوثائق وأغلفة مجلات وقصاصات صحف ومانشيتات من جريدة (العقاب) التي قرأت كل إصدارتها صفحة صفحة ودققت في ثناياها سطرا فسطرا، هي وشقيقتها جريدة (الميثاق) التي أصدرها البحري اثر تعطيل (العقاب) في منتصف الثلاثينات في بغداد . كذلك حصلت على بعض اعداد من مجلة (الكويت والعراقي) التي اصدرها في إندونيسيا برفقة العالم والمؤرخ الشيخ (عبد العزيز الرشيد) فضلا عن الكتب التي أصدرها في فترات مختلفة من حياته والتي ناهزت العشرين مؤلفا .

علما أن البحري قام بتوثيق حقبة مهمة من تاريخ رجالات كثر من أبناء العروبة في مشرقها ومغربها ، سياسيين وادباء ، رجال قلم وأهل صحافة، كانوا قد تواجدوا على الأرض إبان فترة الحرب العظمى الثانية، فلم يجاره احد في الكتابة عن تلكم الأيام .

وما ارجوه من الإخوة والأصدقاء وكتاب التاريخ وأصحاب دور النشر، أن يلتفتوا إلى هذا المشروع النبيل الذي أعددناه بجهود سنين طوال، ويخص مرحلة خصبة من تاريخ نضال المنطقة على الصعد السياسية والقومية والثقافية والاجتماعية ، فيحتضنوه ليرى النور فيكون مرجعا مهما وخلاصة سديدة ووثيقة رائعة لأولادنا وللأجيال القادمة، ولنظهر للعالم أن من بين أبناء الضاد من قد شرق وغرب وجابه الأهوال وعجائب الزمان في حقب سلطت فيها الأضواء على كثير ممن هم دون قامة البحري قابلية أو همة أو نشاطا فخلقوا من قصصهم أساطير وملحمات .. !

وفي الختام لا بد لي من الاعتراف انه ما زال يعوزني الكثير عن تاريخ البحري إبان إقامته في بيروت وتقتضي أعدادا من جريدة (العرب) التي أصدرها هناك .

لذا فانني ادعو من على صفحات جريدة (الرأي) الغراء كل باحث وصحافي وقارئ يخدم الحقيقة وبإمكانه الاطلاع على أرشفة تاريخ الصحافة في لبنان الذي وثقته مؤسسة دار النهار وبالذات فترة الخمسينات ، ان يزودني مشكورا بما تجود به أريحيته من مساعدة في شكل مادة صحافية أو مقتطعات من قصة حياة البحري وجملة علاقاته المتشابكة في فترة إقامته في لبنان ، تلك التي يعتقد الباحث المحترم أنها تشكل محطة استراحة أو نقطة أو إضافة إلى حياة المبحوث عنه الطويلة والحافلة بالطريف والجديد والممتع.

أما إعداد جريدة (العرب) التي أصدرها البحري في باريس بعد الحرب العالمية الثانية، فبإمكان الإخوة العرب من المغرب العربي أو المقيمين في باريس ان يكونوا خير عون لنا في هذا الخصوص . علما بان سعدي يونس وهو الابن الأصغر للبحري وهو مخرج مسرحي يعيش الآن في فرنسا والدكتور لؤي بحري أستاذ العلوم السياسية يعيش في ولاية ماساتشوسيت ستيت يونيفيرستي مع زوجته وأولاده، والدكتورة منى البحري البنت الصغرى تعيش في الخليج ، كانوا وما زالوا غير ميالين إلى التعاون مع أي كان يهم بالكتابة عن تاريخ والدهم لأسباب قد لا نجهلها نحن .. لكنهم مخطئون بحق أبيهم وبحق تاريخ المنطقة. ويا حبذا من كل من يود الاتصال معنا في هذا الخصوص الاتصال مباشرة على عنواننا في العراق (حي الأندلس - قرب جامعة الموصل - العراق - الباحث معن عبد القادر آل زكريا) هاتف المنزل (٨١٠٩٧٧) أو على عنوان جريدة الرأي الغراء .

×××

الشباب اليهودي في بغداد

يعطف على عرب فلسطين ويؤيد حقوقهم كاملة غير منقوصة هبطت على إدارة جريدة العقاب أمس لمناسبة يوم فلسطين في العراق البرقية التالية الحاملة تواقيع نخبة من المثقفين والوجوه والأدباء من اليهود في بغداد وهي تعبر عما يخالج أفئدتهم من روح العطف على فلسطين العربية المجاهدة وتأييد حقوق العرب أصحاب هذه الأراضي المقدسة .

بغداد - جريدة العقاب

لمناسبة يوم فلسطين العربية الدامية في العراق نحيي نحن الشباب اليهودي العربي كافة ، العاملين في سبيل القطر الشقيق لصيانة عروبته وحفظ حقوق ابنائه العرب كاملة غير منقوصة ونحن نؤيد بكل جوارحنا وعواطفنا الدفاع عن فلسطين وبقائها عربية عزيزة الجانب .

انور شاؤول . الدكتور نور الله . الدكتور البيرت الياس . الدكتور شالوم . الدكتور البير حكيم . الدكتور ش . بصري . نيازي مراد . ابراهيم بيرص . سليم نسيم زلخة . داؤود مراد . عبودي نعيم . عبودي كرجي سليم . ابراهيم حاييم . ساسون مراد ساسون . كرجي شوع بيخور . فكتور زبيدة . يوسف شاؤول . سليم درويش داؤد برخان .

العقاب 29 / اب / 1938

محلة التوراة في قلب بغداد

محلة التوراة في قلب بغداد، إرث اليهود المنهوب بنايات آيلة للسقوط وقبر حاخام يتحول لمزار إسلامي

تتوسط العاصمة العراقية بغداد محلة تحوي تأريخاً مهماً للمدينة حيث سكنها أشهر شخصيات بغداد وأكبر جالية يهودية عراقية حتى منتصف القرن الماضي. التحقيق التالي يسلط الضوء على واقع تاريخ المكان وما تبقى منه كتراث مهمل. المرور في منطقة "قنبر علي" وسط بغداد يحتم على المار خوض رحلة في عمق التأريخ القريب لهذه المنطقة التي كانت تعد قلب بغداد البهي حتى منتصف القرن الماضي قبل أن تعبث بها يد المنون وتطلق من قلوب سكانها وحوش الكره الكاسرة التي فرقت الجيران وأسست لأسوأ صفحة من صفحات بغداد التي ستتكرر بصيغة أخرى بعد نحو نصف قرن، ألا وهي صفحة "الفرهود" التي تعني السلب والنهب ولو أدى للقتل أو كما يسميها البعض بفرار اليهود (فر اليهود او فر يهود؛ فرهود) كما يرى بعض الباحثين العراقيين.

إرث اليهود المنهوب

عبدالرحمن الماجدي

فقد هجم المئات من سكان بغداد على محلات اليهود العراقيين عام ١٩٤١ لينهبوا بالقوة كل ما خف أو ثقل حمله وغلا أو رخص ثمنه. بتحريض من حكومة رشيد عالي الكيلاني المؤقتة التي كنت توالي ألمانيا آنذاك وأطاحت بالوزارة واجبرت الوصي عبد الاله على الفرار، حيث كان للخطاب القومي والديني ضد اليهود أثره في هجوم الغوغاء على محلات اليهود والاعتداء عليهم ونهب ممتلكاتهم و قتل أعداد كبيرة منهم بينهم عدد من الأطفال الذين كانوا يلعبون قرب بيتوهم وهرع أهلهم للهرب داخل البيوت خوفا من هجمات الغوغاء. ولم تفلح تدخلات بعض جيران اليهود من المسلمين فقد وصل عدد القتلى نحو ٨٥٠ قتيلاً من اليهود خلال يومين ودفن عدد كبير منهم في مقبرة جماعية ببغداد. ولم يعثر ذوو الأطفال على أحد منهم بين الأحياء يومئذ.ويرى الكثير من العراقيين أن تلك الهجمات لم تكن دون توجيه مسبق يحمل بعضهم حكومة رشيد عالي وضيفه الحاج أمين الحسيني مسؤوليتها ويحمل آخرون المنظمات اليهودية في العالم على تضخيمها واستخدامها كمحرض لهجرة اليهود العراقيين إلى إسرائيل.

ويشبه بعض المتابعين هجرة يهود العراق قبل أكثر من نصف قرن بهجرة مسيحييه اليوم ولنفس الأسباب وإن تغيرت وجوهها.

قنبر علي

أهالي محلة قنبر علي ينسبون تسمية المكان لخادم الإمام علي بن أبي طالب قنبر الذين يقولون أن قبره في أحد مساجدها. لكن غيرهم يرى أن القبر منسوب إلى رجل متأخر زمنا عرف بقنبر. حيث أشار الشيخ محمد صالح بن محمد سليم إلى أن القبر يعود لأبي طالب نصر بن علي الناقد الملقب بقنبر من رجال الخليفة المستضيء بالله.. أما الدكتور حميد هدو فقد ذكر أن قنبر هذا هو مولى الإمام علي الهادي بن محمد الجواد في القرن الثالث الهجري ودفن في مقبرة باب أبرز في هذا الجامع الذي عرف عند العامة بجامع قنبر علي وكنيته أبو طالب".

وسكن قنبر علي الكثير من الشخصيات العراقية لعل أبرزهم الزعيم العراقي السابق عبد الكريم قاسم مؤسس جمهورية العراق الذي ولد في منطقة المهدية تحديدا. وعدد من الوزراء والسفراء.

كل ذلك يدل على قدم هذه المحلة التي تئن اليوم تحت مطرقة الإهمال القاسية. ولم ترحمها هجمة الحرب الطائفية التي عصفت بالعراق عامي ٢٠٠٦ و ٢٠٠٧ حيث شهدت تبادل القصف بمدافع الهاون من محلة الفضل المجاورة لها. وتسببت بتهديم عدد من شوارعها وبناياتها.

التوراة والفرهود

ولعل محلة التوراة في منطقة قنبر علي من أبرز المحلات التي تعرضت للفرهود وهجرها سكانها الأصليون بعد حملات ترهيب داخلية وخارجية أجبرتهم على الفرار للبصرة وإيران ثم لأوربا ولاحقا لإسرائيل. لكن معالم هذه المنطقة لما تزل تدل على يهوديتها برغم الإهمال الذي طال مبانيها و طمر بعضها فهي لا تزال وقفاً يهوديا وان تناوب السكن فيه عن طريق المساطحة (السكن لفترة معينة من الزمن) سكان آخرون أعطوا للمنطقة توجها أثنيا واحدا اليوم. لكن كل من تسأله عن أي بيت فيها يدلك على أصله اليهودي.

فمعبد اليهود في المنطقة لم يتبق منه إلا نصف جدار وأرض عبارة عن ساحة لوقوف السيارات أو رمي الأوساخ قائمة على أعمدة صخمة للمعبد الذي يقع قبالة المدرسة اليهودية التي كانت ملحقة به وهي لما تزل قائمة حتى اليوم تطوقها أذرع الإهمال من كل الجهات.

الشيخ إسحاق

وخلف المدرسة تكمن المأساة الحقيقية التي تدل على ازدواجية لأحد لها. فهنا يقع أكبر مكب لازبال المنطقة الذي يطوق مكاناً مقدسا يضم قبر شيخ إسحاق كما مدون على بابه الذي هو قبر حاخام يهودي بنفس الاسم. ويتبرك السكان به من خلال آثار الحناء على باب القبر الأخضر بين أنقاض الأزبال.

كان علينا أن نقفز على الجدار المهدم نصفه ونتجاوز جبال الأزبال لنصل لمكان القبر الذي هو عبارة عن ضريح تحيطه شموع

قليلة وزهور بلاستيكية وضعها بعض الزوار المسلمين الذين هم على الأغلب من سكان الحي الذين لايكفون عن الحديث عن كرامات صحاب القبر شيخ اليهود اسحاق كما يسميه البعض. دون أن يزيلوا بعضاً من اكوام الاوساخ عن هذا المكان.

وحين سألنا امراة كانت تحدثنا عن سرعة استجابة الشيخ إسحاق لأي دعاء، عن سبب تركه وسط الازبال قالت إنها كثيرة وهو إمام يهودي. ومثلها قالت فتاة من جيران القبر كانت تتباهى أن الشيخ اسحاق منح اختها العاقر طفلا بعد أن دعته وتوسلت به. مبررة أن هذه الأوساخ هي من مخلفات المارة أو بعض السكان الذي يتكاسلون في إيصالها لمكان أبعد.

يقول أحد جيران المعبد والقبر إن أحد مقاولي البناء عام ١٩٩٩ ادعى إن لديه إذنا ببناء عمارة قرب القرب والمعبد وقد هدم الكثير من الجدران بالإضافة إلى المرمر الذي كان في القبر ثم اختفى ليكتشفوا انه كاذب. وبقي المكان على حاله يزداد سوءاً وعلق أحد السكان أن محافظة بغداد تستطيع أن ترمم المكان وتجعله مزارا لليهود من العالم كما فعلت مصر. لكن الخطاب الطائفي الواحد يحول دون ذلك إضافة لرغبة بعض الساسة العراقيين بالسطو على المكان من خلال تركه يسير بخطى ثابته للدمار ليشتريه لاحقا ويبنى فوقه بنايات جديدة.

بعد مغادرة مرقد الشيخ أو الحاخام إسحاق نصل لسوق حنون الذي سمي نسبة لأبرز الباعة فيه اليهودي حنون الذي كان يبيع فيه البيض الدجاج. وهو اليوم سوق لبيع الخضار والفاكهة. وعلى جانبي الطريق تبرز سقوف محلات السوق القديمة وقد طمر نصفها أو أكثر وأغلبها مقفلة منذ عشرات السنين.

وعلى امتداد السوق تهزك مناظر البيوت وشناشيلها الآيلة للسقوط وهي تطل على الشارع الضيق تستغيث بالذكرى وقلوب المارة تشتكي هجرانها بعد أن كان يسكنها علية القوم من أهالي بغداد.

الراقصة ليلى

لم نعثر على معمر من أهالي المنطقة ليخبرنا عن ذكرياته مع المكان وسكانه الراحلين فمعظم من التقيناه من مواليد الخمسينيات أو ما بعدها. وتحوي ذاكرتهم ما وصل إليهم من سواهم من السكان أو العابرين.

الحاج أبو كرم أحد سكان المنطقة منذ عام ١٩٥٢ يقول أن لا سلطة لأحد للاستيلاء على بيوت ومعابد اليهود هاهنا لأنها وقف لهم ولديهم محامون يستلمون مستحقات الإيجار رغم قلتها ويرسلونها لهم.

ويحدثنا أبو كرم عن إحدى أقدم سكان المحلة من اليهود التي توفيت عام ٢٠٠٣ وهي الراقصة اليهودية ليلى التي كانت ترقص في أبرز ملاهي العاصمة بغداد. وقد توفيت وهي عجوز وحيدة للغاية.

زائر غريب

قبل المغادرة لفتتنا بوابة منزل مهيبة تشير إلى أنها بنيت عام ١٩٣٠ مع لوحة تزينها محفورة كرسم لقلعة أو للمكان نفسه مع كلمة ALLIANCE التي تشير للمكان، مازالت محتفظة بهيبتها. قال بعض السكان أن غريبا كبير السن جاء عام ٢٠٠٣ يحمل صورة بالأسود والأبيض فيها شاب يجلس وخلفه بوابة مهيبة هي ذات البوابة التي طلب أن يتم تصويره عندها، فغادر ولم يعد.

لعله أحد سكان البيت من يهود العراق الذين داعب حلم العودة بعضهم عام ٢٠٠٣ لكن يد الإرهاب والتطرف حالت دون ذلك و حالت دون عودة معظم العراقيين وهي لما تزل تمر هنا وهناك بين فترة أخرى في منطقة قنبر علي ومحلة التوراة وبقية مناطق بغداد مشيرة لسطوتها على المكان والناس.

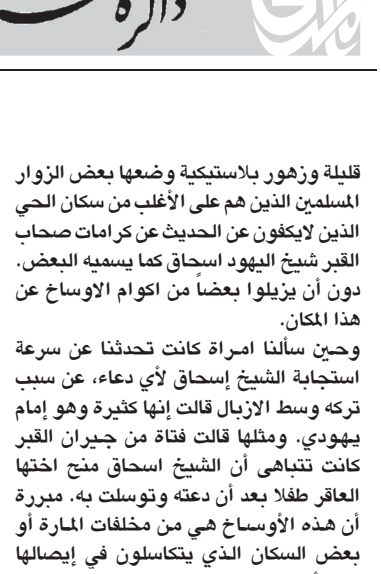

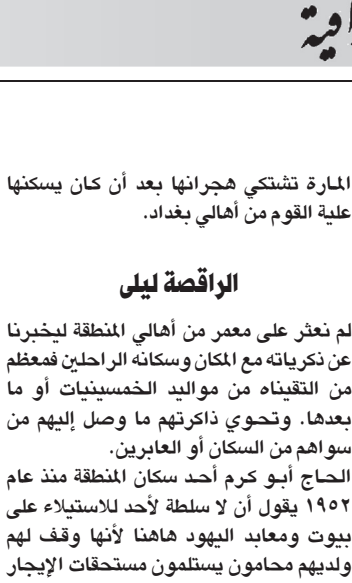

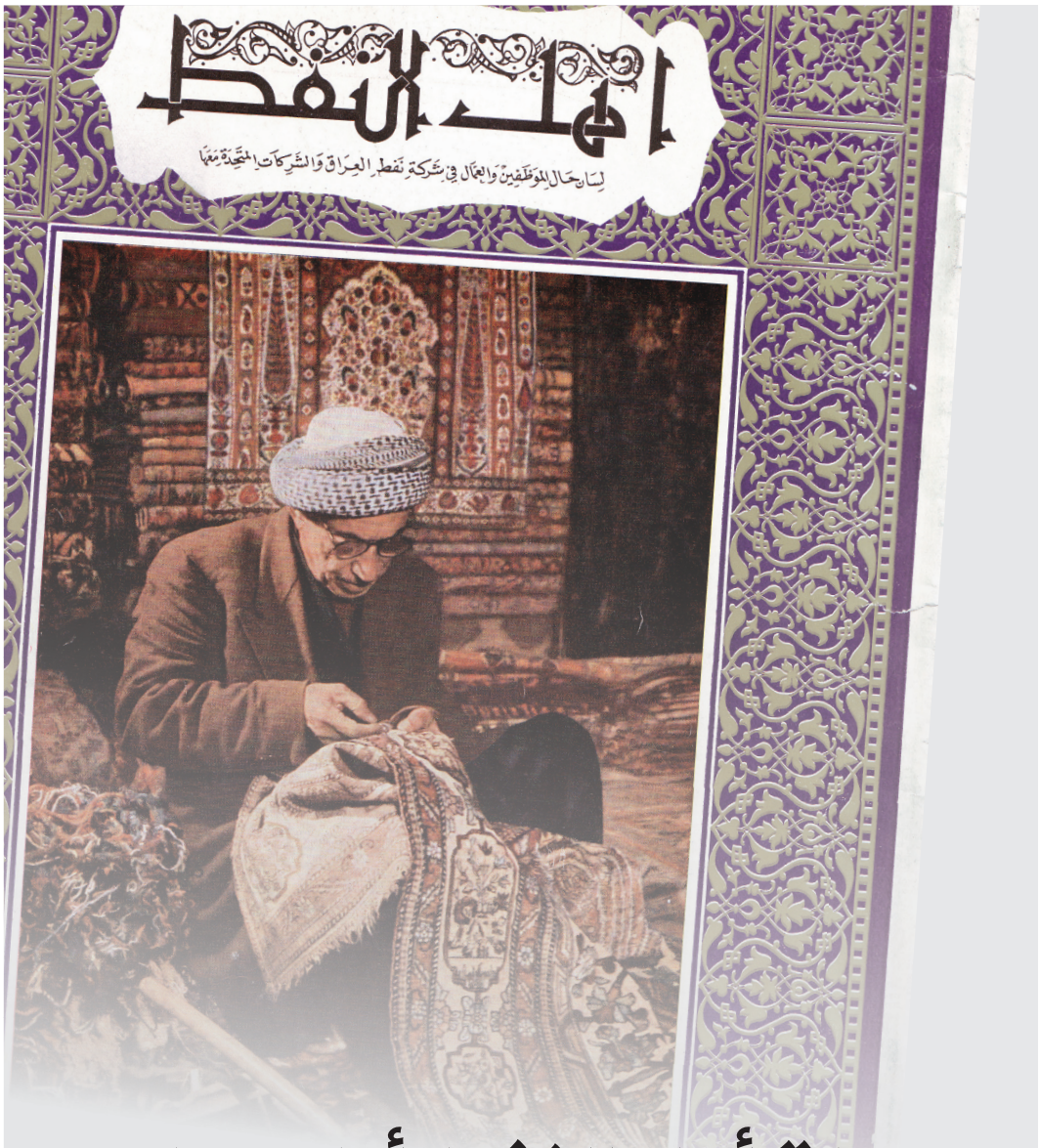

مجلة أهل النفط أيام زمان

أعادت لي مجلة أهل النفط ذكريات أيام الطفولة في المكتبة المركزية العامة عندما كانت تشغل بناية البهو في ساحة الحرية أو ساحة البلدية كما متعارف عليه، وقد كانت هذه المجلة بحجمها الكبير وألوانها الزاهية وصورها وقصصها وتنوع مواضيعها تشد القارئ إلى مطالعتها والتمتع بمشاهدة صورها الملونة معظمها.

كانت المجلة تصدر شهرياً في الخمسينيات عن شركة نفط العراق في بيروت في سبعين صفحة، وكتب في ترويستها أنها لسان حال الموظفين والعاملين في شركة نفط العراق والشركات المتحدة معها. وعلى الرغم من إشراف الشركة الأجنبية على تمويلها وتهيئتها وطبعها فقد خلت من المقالات الدعائية للشركة واحتوت على مواضيع ثقافية وأدبية مفيدة، ومنها مواضيع متفرقة في شتى المجالات العلمية والإنسانية، ومنعت نشر المقالات السياسية والدينية والمقالات التي تشجع على الخمر والجنس.

رئيس تحريرها اللبناني عبد الله مشنوق وكان يكتب في مقدمة كل عدد منها (كلمة الشهر)، وهي تستقبل مواضيع الكتاب من العراق وسوريا ولبنان والأردن التي تتواجد فيها محطات ضخ النفط، ولها عدة مراسلين في تلك البلدان من أبناء البلد نفسه. وكذلك تشمل تحقيقاتها تلك البلدان وهي تحقيقات منوعة عن مشاريع النفط والماء والكهرباء والزراعة والري والصحة والإعمار والمدارس والمعاهد والمعارض. وضمت المجلة العديد من المواضيع الأدبية من القصة القصيرة والشعر والقصص المترجمة لعدد من أدباء ذلك الزمن منهم على سبيل المثال الشعراء من العراق: أحمد الصافي النجفي وعاتكة الخزرجي وبلند الحيدري وصفاء الحيدري وعبد الصاحب الملائكة ومحمود فتحي المحروق وعبد الكريم محمود السعيدي وسعدي يوسف ومصطفى كمال صبري وفطينة النائب. ومن كتاب القصة سامي أمين وروح أحمد القيسي وفؤاد قاسم وجعفر الخليلي وتحسين حسن حلمي ومحمود الحبيب وسراب عبد الجبار محمود ومحمد ناجي طاهر وسمير عبد الرحيم وقيس التكريتي وأديب الدباغ.

وحفلت المجلة كذلك بمواضيع ثقافية وطبية منوعة مثل تحقيقات عن المدن ومشاريع الري والسدود وبناء المساكن والمستشفيات، شارك فيها كتاب عرب وعراقيين منهم: الدكتور صفاء خلوصي وعبد المجيد الشاوي ورشيد العبيدي وميخائيل عواد وفؤاد جميل وصفاء الحيدري وعبد الحق العزاوي وعزيز عجم المحامي وأنيس زكي حسن ومحمد ناجي طاهر وعبد القادر الناصري وشاكر سعيد ومحمد سوسة وعبد الجبار البكر وحسن كتاني ويوسف الجادرجي وجبرا إبراهيم جبرا وأنيس وزير (مديرة) وسعيد الديوه جي الذي كتب عن جامعي النوري الكبير والنبي يونس، فضلاً عن مراسل المجلة في الموصل سعد الجميل. ومن هؤلاء من كتب قصيدة أو قصة أو تحقيق صحفي أيضاً.

ومن الشعراء العرب سعيد عقل وفدوى طوقان ورياض معلوف ونبيل صبحي وإبراهيم العريض، ومن الكتاب العرب فؤاد صرّوف ونقولا زيادة ومارون عبود وألياس قنصل وسلمى الحفار الكزبري وميخائيل نعيمة وجوفر حداد وخليل الهنداوي ومحمد النقاش ونقولا شاهين ورضوان مولوي وجوزف فاخوري وأسامة عانوتي وجميل عانوتي وفاروق طنب وأدمون خليف، ومن القصاصين العرب مارون عبود ومحمد يوسف نجم وخليل تقي الدين وجورج ميلاد صغير وعبد الرزاق السيد وعبد الوهاب السيد وسميرة عزام وحسن القصير وأدوار حشوة وباسم الجسر ومحمود تيمور وأنطوان نوري واسكندر حريق وأنطوان معلوف.

وهناك أبواب ثابتة مثل (أخبار أهل النفط) وتتضمن صور شخصية وجماعية للعاملين والموظفين وأخبار ترقياتهم وتنقلاتهم ووفياتهم وألعابهم الرياضية ومناسباتهم الخاصة من زواج وولادة ونتائج الدراسة لأولادهم وبعثاتهم، فضلاً عن الحديث عن كل جديد في مناطق سكناهم وفي محطات الضخ كافة. كما ضمت صفحة للتسلية وصفحتين للأزياء والمرأة والديكور.

اللطائف المصورة

AL LATAIF AL MUSAWARA

Sup. No. 1265 VOL. XXV. CAIRO. 14th May. 1939

ع. الخالدي
بغداد

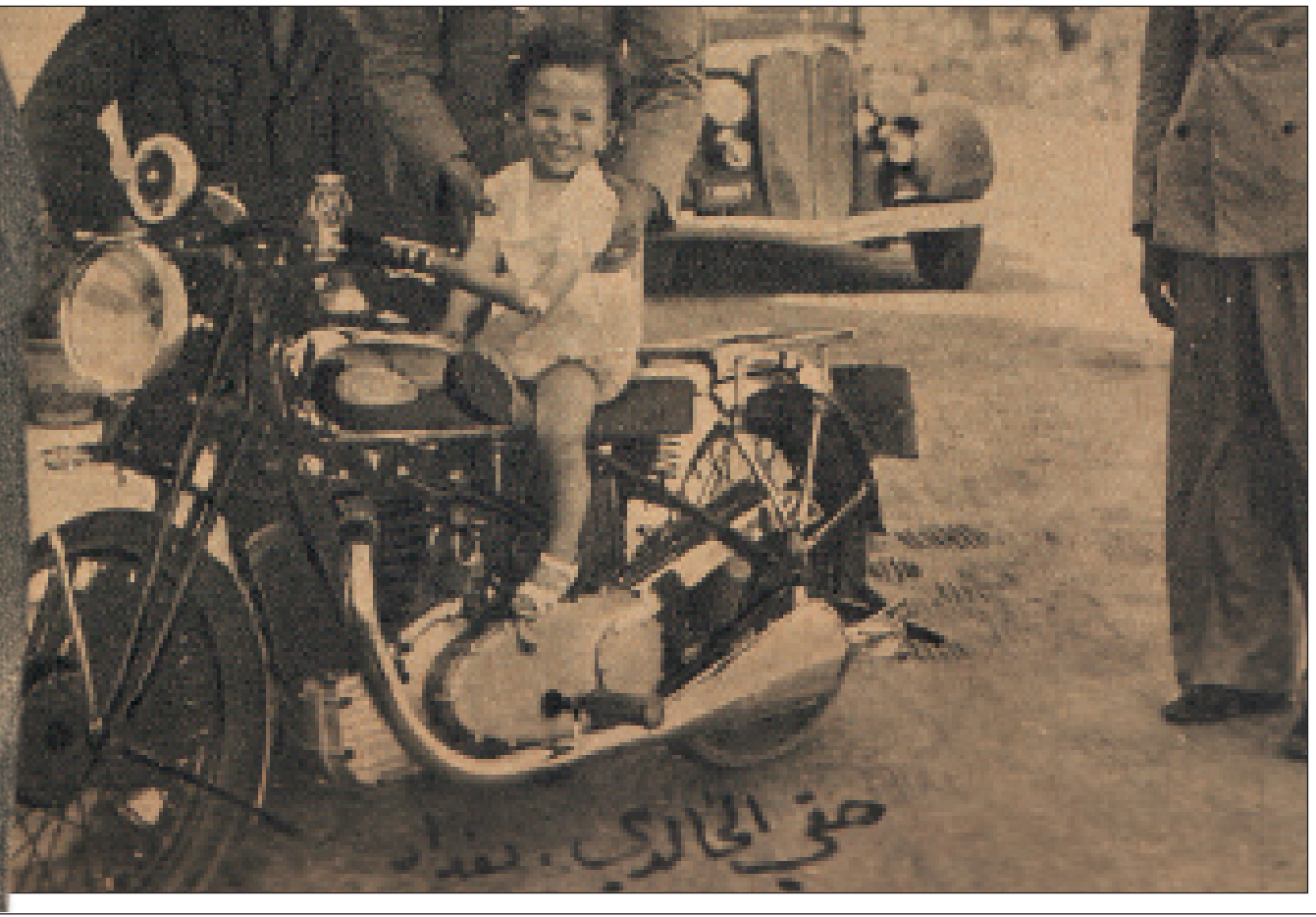

صفي الخالدي . بغداد

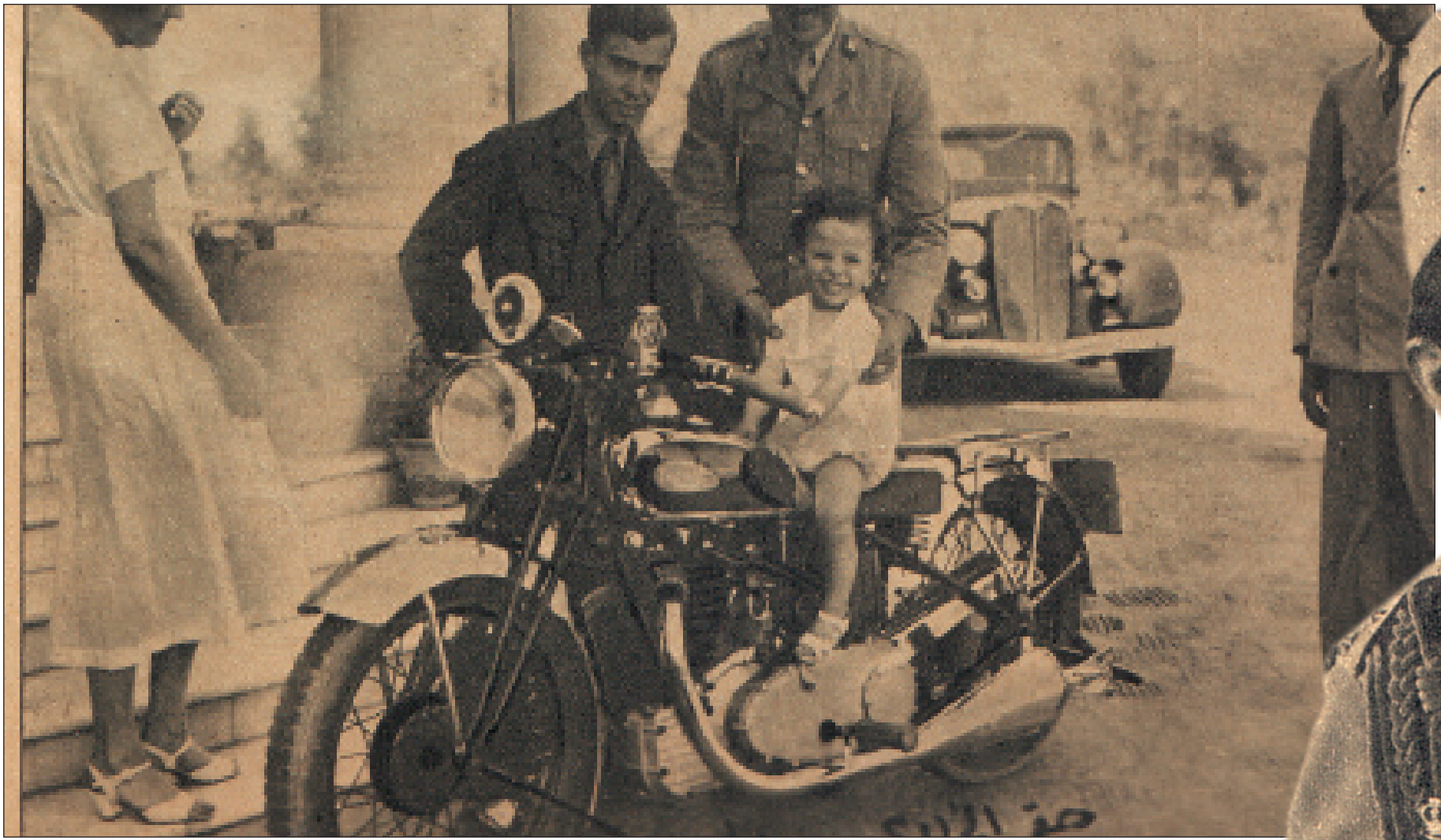

صور نادرة للملك فيصل الثاني نشرتها مجلة
اللطائف المصورة
في عددها بتاريخ ١٤ ايار ١٩٣٩

في عام 1926 افتتح شارع في مركز مدينة الموصل وذلك في عهد الملك فيصل الأول، وأطلق عليه اسم ولده الوحيـد (غازي) ليخفف الازدحام في شارع نينوى. إذ يبدو أن شارع النجفي الضيق الذي فتح قبله بعدّة سنوات لم يؤمن الغاية أعلاه. سمي بشارع الثورة بعد انقلاب 14 تموز 1958، لكن الناس اعتادت على تسميّة الشارع بغازي حتى الآن .

كان عرض الشارع في البداية لا يتجاوز الخمسة أمتار ويسمح بمرور عجلتين في اتجاهين مختلفين، وتم توسيعه في ثلاث مراحل حتى وصل إلى عرضه الحالي البالغ عشرة أمتار، ويبلغ طوله 200 م.

أزهر العبيدي
باحث وكاتب

شارع غازي ... الشارع العتيق

كان مرور العجلات فيه حتى الثمانينيات باتجاهين متعاكسين، ثم جعل السير باتجاه واحد من ساحة السراي إلى شارع نينوى حيناً، ثم من شارع نينوى إلى ساحة السراي كما هو عليه الآن. وتحاول البلدية توسيعه لمسافة خمسة أمتار أخرى من الجانب الأيمن/الشرقي بمنع تجديد الأبنية القديمة المنهارة ، وهذا سيؤدي إلى إزالة جميع المعالم التراثية التي تميزت بوجود الكوشكات (الشرفات) الجميلة من هذا الجانب .

يعد شارع غازي من أهم شوارع المدينة بعد شارع نينوى ، إذ يتوسط المنطقة التجارية ، ويربط بين أهم شارعين فيها هما شارعا نينوى والعدالة . وتمر فيه يومياً معظم وسائط النقل ويزدحم بأعداد كبيرة من الناس الذين يبغون الشراء من سوق السراي أو سوق الصاغة أو شارع النجفي . وأشارت دراسة أعدتها كلية التربية . جامعة الموصل في الثمانينيات إلى أن عدد المحال التجارية في هذا الشارع بلغ (٨٠) معظمها لبيع وتصليح الساعات والأخرى لبيع وتصليح الأجهزة الكهربائية الصوتية فضلاً عن عدد من الخياطين . ومن المعلوم أن هذا الشارع كان في الماضي أكثر تخصصاً في مهنة الخياطة التي برع فيها عدد من الخياطين الأرمن بعد ظهور زي (الأفندية) في العشرينيات .

كان الخياطون القدامى يخيطون الجاكيت (السترة) والبنطلون والزخمة (اليلك) للأفندية ، والزبون والصاية والزخمة والجاكيت (للباش بوزغ) من غير الأفندية . وقد يرسل الخياط قياسات الزبون أو الصاية إلى خياط متخصص في خياطة الزبونات في قيصرية الخياطين في سوق السراي مقابل جامع الباشا . ويقوم الزبون بشراء القماش من الخياط نفسه أو من قيصرية سباهي بزار أو قيصرية السبع أبواب . وكان الخياطون يخيطون كذلك الزي العسكري للضباط من القماش الخاكي (القهوائي) ، ويكتبون على قطع محلاتهم (ملكي . عسكري) . وكان هناك عدد من الخياطين متخصصون بخياطة القمصان للأفندية . أما الآن فقد اختفت هذه المحلات بعد شيوع استعمال الألبسة الجاهزة (ماتت الخياطة) كما يقول العامة . وكان أول مستورد لها الحاج هاشم يحيى الرحّو في الشارع ذاته . وفي الوقت الذي بقيت فيه محال بيع الساعات وتصليحها ، فإننا نلحظ زيادة في عدد محلات بيع الأجهزة الكهربائية من راديوات وتلفزيونات والعاب الكترونية . واختفت وكالات بيع السكاير وبائعو التبوغ (التتن) بانتقالهم إلى سوق البورصة .

كان بائعو الساعات يبيعون ساعات يدوية ومنضدية وساعات كبيرة تعلق على الحائط ، جميعها تعمل بالنصب أو الإملاء (التكويك) ، إذ لم تكن الساعات الأوتوماتيكية التي تعمل بالبطارية معروفة . ومن أنواع هذه الساعات : ارداث . اوميكا . موندیا . تيكسا . اولما . جنيف . موريس . زنيث . فلكا . لونجين . أما المصلحون فان معظم دكاكينهم كانت مساحتها لا تزيد عن متر مربع فيه منضدة وكرسي . أما بائعو الراديوات فكانت الراديوات التي يعرضونها من الحجم الكبير وتعمل بالكهرباء ، وكان ارتفاع القديم منها يبلغ المتر وقد يحتوي على جهاز كرامفون لتشغيل الاسطوانات . ومن أنواع هذه الراديوات : ماركوني . بلي بونت . سيرا . فيلبس . كروندك . نورمنده . باي . بوش . منيرفا ... الخ .

يتناول هذا البحث ما كان عليه شارع غازي في الأربعينيات والخمسينيات، مذكراً بأسماء الأعلام الأوائل الذين عملوا فيه ، وعرض مهنهم القديمة والأسماء التي أطلقت في تلك الحقبة من الزمن. ولأجل ذلك التقينا عدداً من المعمرين الذين عملوا في هذا الشارع وحصلنا منهم على معلومات قيمة أغنت البحث فضلاً عن ذكريات الطفولة، ومنهم السيد المحامي خيري الدباغ والسيد خيري جلميران والسيد بهاء الدين كركجي والسيد محمد إسماعيل علي العبيدي والسيد زكي عبد الساعاتي والسيد صلاح سيد مجيد. لو أردنا الدخول إلى شارع غازي من اتجاه ساحة صقور الحضر الحالية ، فيكون الجانب الأيسر للشارع هو الجانب الغربي، والجانب الأيمن هو الجانب الشرقي. كان النصف الأول من الجانب الأيسر للشارع والمنطقة الواقعة خلفه يتكون من بيوت سكنية مختلفة المساحة. وتتكون الواقعة منها على الشارع تلك التي تحولت فيما بعد إلى شقق للمحامين والتجار وعيادات للأطباء ، من دكاكين في الطابق الأرضي فوقها غرف للسكن. في الواجهة المطلة على الشارع غرفتين بارزتين يربطها كوشك (شرفة) في مقدمته سياج حديدي (محجل) جميل .

وهذه الغرف والكوشك مبنية من الأخشاب ومغلفة من الخارج بصفيح خفيف من الزنك (التنك) ومزينة بزخارف خشبية من أشرطة الخشب الرفيع . ويبدو منظرها من الخارج جميلاً جداً ، لكن مقاومتها للأمطار والتقلبات الجوية ضعيفة، إذ انهارت معظمها في وقت قصير نسبياً . نبدأ بوصف المحلات من بداية شارع النجفي متجهين يساراً نحو شارع غازي حيث دكان محمد الحاج جاسم التتنجي (بائع التبغ) ، وفوقه مكتب حمّو القدّو للتجارة ، يليه دكان الخياط يونس دنون وفوقه مكتب المحامي فخري الخيرو ، ثم دكان مصلح الراديوات احمد عبد الحميد ، وإلى جانبه دكان الحلاق محمد علي ودكان الحلاق قاسم . يليه دكان واسع لمعرض الساعات السويسرية لصاحبه جارالله الساعاتي . ثم زقاق مغلق في مدخله الأيمن مكتب المحاميين غربي الحاج احمد وقاسم المفتي وهو المقر الرسمي لحزب الاستقلال في العهد الملكي ، ثم بيوت بدري ، وصالح جلميران ، وحسين عبّو ، وفي صدر الزقاق بيت عبدالله الكركجي، وعلى اليسار بيت إسماعيل اللاوند .

بعد الزقاق دكان واسع لشركة طبارة وعبود ـــ وكالة سيكاير غازي لصاحبيها محمد وفاضل أولاد عبد العزيز رحاوي ، وفوقه مكتب المحامي جرجيس فتح الله ومن بعده الطبيب عبد الإله الجـوادي . ثم دكان خليل إبراهيم التتنجي وفوقه عيادة الطبيب بشير يونس الدباغ . يليه دكان مصطفى صالح الساعاتي وكيل ساعات شهرزاد وشيروان ، وشغل الدكان من بعده عصمت الساعاتي ، ثم دكان محمد صباغ الأحذية ، ودكان محمد مرعي بائع الشربت ، ودكان سعيد قاسم مصلح الراديوات ، ثم دكان سيد شريف الكهربائي ومن بعده وعدالله الساعاتي بائع الساعات ، ودكان صبحي جقماقجي مصلح المدافئ النفطية وفوقه عيادة مركب الأسنان الحاج محمد يونس ، وأخيراً محمد إسماعيل صاحب مخزن محمد لبيع الراديوات وإيجار وبيع مكبرات الصوت التي اختص بنصبها وتشغيلها في المناسبات والاحتفالات ، وكان اسم (مخزن محمد) يكتب في جوف المكبرات.

بعد مخزن محمد زقاق ضيق غير نافذ يتصدره بيت عبد الفتاح الصمدي ، وعلى اليمين بيت ومعمل لعمل الحلويات لفتحي الشكرجي ، ثم بيت احمد طاقة دلال باشي ، والمطبعة العصرية لصاحبها عبد الأحد إبراهيم . وعلى اليسار بيت الحاج علي عبد الرحمن العبيدي ، ثم بيع البيت إلى محمد الكركجي ، ومن بعده بيت محمد البغدادي الذي يقابل دكانه هذا الزقاق . وفي مدخل الزقاق الأيمن وفي الطابق العلوي عيادة الطبيب العسكري حسام الدين توفيق . ويلي الزقاق مخزن حسن لصاحبه حسن الحاج طه الدباغ بائع ومصلح الراديوات ومؤجر مكبرات الصوت ، ثم دكان الخياط احمد السلمان وفوقه عيادة الطبيب الجراح عبد الرحمن محمد علي ، ودكان عبد الله لصباغة الأحذية ، ثم الخياط غانم احمد زيتو ، والساعاتي عبد العالي ، والبقال سليمان .

ثم يأتي زقاق واسع نسبياً يربط شارع غازي بشارع النجفي ، في مدخله الأيسر دكان الحاج يونس الحاج طه الدباغ بائع ومصلح الطباخات النفطية (البريمزات) وأجهزة الإنارة (اللوكسات) . وفي داخل الزقاق مطبعة جريدة فتى العراق لصاحبها إبراهيم الجلبي ويعمل معه ولداه محمود الجلبي واحمد سامي الجلبي . وعلى امتداد هذا الزقاق وتفرعاته كانت مجموعة كبيرة من البيوت السكنية .

بعد زقاق جريدة فتى العراق مخزن عبد الكريم اليوزبكي لبيع الزجاجيات والفرفوري (الزجاج الصيني الملون) ، ودكان عبد فتحي الحلاق ، ثم المخزن الحديث لصاحبيه الأخوين محمد علي وعبد الرزاق عزمي اللذين انتقلا إلى بغداد واستأجر الدكان المحامي خيري محمد صالح الدباغ صاحب مخزن الدباغ . تليه الشركة العصرية للدباغة لصاحبها نجيب

الجادر ويعمل في إدارتها محمد علي السلمان ، واستأجر هذا الدكان الحاج رؤوف الشهواني المقاول والكهربائي . وكان فوق الدكاكين المارة الذكر في الطابق العلوي مقهى وملهى حيّو الأحدب التي تتكون من قسمين الأول ملهى ليلي والثاني مقهى يطل على الشارع وغير مسقوف . كان المثقفون من الموظفين والضباط في أثناء الحكم العثماني يرتادونه بأزيائهم الرسمية أحياناً ، وكانت تغني في الملهى مجموعة من المغنيات القادمات من مصر وسوريا ولبنان مثل مديحة ناطق ورمزية حميد وبديعة جمال وكاترينا وسامية ، فضلاً عن المغنية سلطانة يوسف .

هدم هذا المقهى في الخمسينيات وأقيمت مكانه عمارة من خمسة طوابق تعود إلى الوجيه نجيب الجادر ، شغل الطابق الأرضي البنك العربي ودائرة تجنيد وبنوك أخرى . وشغلت الطوابق العلوية مديرية معارف الموصل حيناً ، ثم فندق ومن بعده قسم داخلي للطلاب ، وأخيراً دائرة حكومية.

يلي العمارة دكان الخياط ناصيف درزي ومن بعده استأجر الدكان نفسه الخياط عبد الغني الجادرجي، وفي الطابق العلوي شقة المحامي عبدالله ليون الذي توفي في حادث قتل، واستأجر الشقة من بعده الخياط السيد عبد البدراني الذي تخصص في خياطة الملابس العسكرية للضباط.

بعد الخياط عبد الغني زقاق قصير غير نافذ فيه بيت حمّو محمود ، في جانبه الأيمن دكان صغير لصباغة الأحذية صاحبه سالم ، يليه دكان قاسم محمد جاسم التتنجي ، ثم دكان حسين البقال والمدخل الرئيس لسوق الصياغ الذي يقع في بدايته اليسرى دكان الخياط محمد الدباغ وأخيه أديب . يقابله في الجهة اليمنى دكان خضر أحيدب المقاول وبائع الراديوات ، يليه دكان الخياط ستراك توماسيان ، ثم دكان الحلاق نجم وابنه عبد العزيز وابن أخيه عبد اللطيف الحلاق .

يليه مدخل حمام العلاء داخل زقاق قصير ينحرف يساراً مؤدياً إلى سوق الصياغ . كان هذا الحمام من الحمامات التراثية القديمة في المدينة يديره شهاب الحمامي ، وله باب ثان يطل على شارع غازي ، هدم في أوائل الخمسينيات وبنيت مكانه قيصرية لبيع القماش . وفي مكان الباب الأول للحمام افتتحت عيادة للطبيب سالم قاسم الجلبي في الطابق العلوي وتحتها دكان لخياط القمصان شاكر محمود .

بعد زقاق الحمام دكانا بائعي الراديوات غانم عبد الجبار وهاشم محمد علي القزاز ، والخياطان زكي يونس ووعد الله محمد علي ، ثم دكان محمد عزيز الصباغ بائع مكائن الخياطة والكهربائيات والزوالي ، وفوق هذه الدكاكين مقهى الأخوان لصاحبيه شيت وإبراهيم واستأجره من بعدهم احمد باري باسم كازينو الحدباء ، وهو مقهى صيفي وشتوي .

ثم دكاكين بائعي ومصلحي الراديوات صبري مطلوب واحمد نوري ، ويقال أن صيدلية مطلوب كانت في هذا الموقع في الخمسينيات ثم نقلت إلى بغداد بعد ثورة الموصل ١٩٥٨ . فوق هذه الدكاكين بيت توفيق تويي ذو الكشك الجميل. يلي الدكاكين المذكورة زقاق خال من الدكاكين يؤدي إلى باب حمام العلاء للنساء ثم إلى سوق الصياغ. وبعد الزقاق صيدلية وجيه لصاحبها محمد وجيه احمد التي افتتحت سنة ١٩٤٩ وفوقها عيادة الطبيب عبد الوهاب حديد ومن بعده الطبيب محمد ياسين الدبوني . وبعد الصيدلية دكان صديق غزال مصلح الراديوات ، ودكان غانم عنائي مصلح الراديوات أيضاً ، ودكان بهنام الشيخ خياط القمصان ،حيث ينتهي شارع غازي بدكان يشغله مخزن الدرهم لصاحبه إبراهيم السيد حامد الذي كان يبيع الأدوات الكهربائية التي لا يتجاوز سعرها درهماً فقط (أي خمسين فلسا).

نعود أدراجنا إلى بداية الشارع فنقف عند الجانب الأيمن حيث ركن خان حمّو القدّو لنصف المعالم في الجهة اليمنى من الشارع . فقد كان يشغل الطابق العلوي لخان حمّو القدّو أوتيل السلام (فندق) ، وكان مشغولاً قبل ذلك من باعة الزوالي الإيرانية القديمة الجيدة . تحت الفندق دكاكين محمود عبد الله الخياط وحميد أبو الجرز (النقول) ومحلات محمود السمان وإخوانه لبيع الأقمشة بالكيلو .

أمام هذه الدكاكين المدخل الرئيس لسوق السراي، وعلى الجهة اليسرى من المدخل دكاكين صغيرة تقع على شارع غازي تبدأ بدكان محمد الخوشي بائع الفواكه ، وعزت أبو الدوندرمة (المرطبات) ومحمد الحاج صالح القوندرجي ، ونافع اللوس بائع الساعات ويونس الياس الجايجي ، يليه خضوري حلوبة بائع الأحذية وشغل الدكان من بعده نجيب جقماقجي بائع ومصلح الدراجات ، خلف هذه الدكاكين بيت توفيق جلميران ، ثم دكان محمد البغديدلي (البغدادي) بائع لعب الأطفال الذي تسود دكانه الفوضى وتجد بضاعته على شكل كومة كبيرة ، وكان يبيع شرائط الأفلام السينمائية القديمة بالذراع ، ويصلح زجاج النظارات الشمسية بحمي إطارها عن طريق إدخاله في عنقٍ زجاجة لمبة قديمة (مصباح) . وكان سميناً عصبي المزاج دائم الشجار مع الأولاد الذين يمازحونه فيسمعهم أقذع الشتائم .

فوق دكان البغدادي عيادة الطبيب مارسيل بيو ، يليها دكان شاكر أبو الشربت ، ودكان صالح أبو النايلون واستأجرها من بعده عبدالله التتنجي ، ثم سالم احمد القطان بائع السكاير الأجنبية ، ويونس الساعاتي مصلح الساعات ، ويرتدي الأخيران الفيس الأحمر (الطربوش) . ثم يأتي زقاق يؤدي إلى سوق السراي في مدخله العلوي الأيمن عيادة الطبيب كمال يونس شريف ، وفي مدخله الأيسر مخزن ريفولي – وكيل قمصان ألفا لصاحبه عز الدين محمد كركجي .

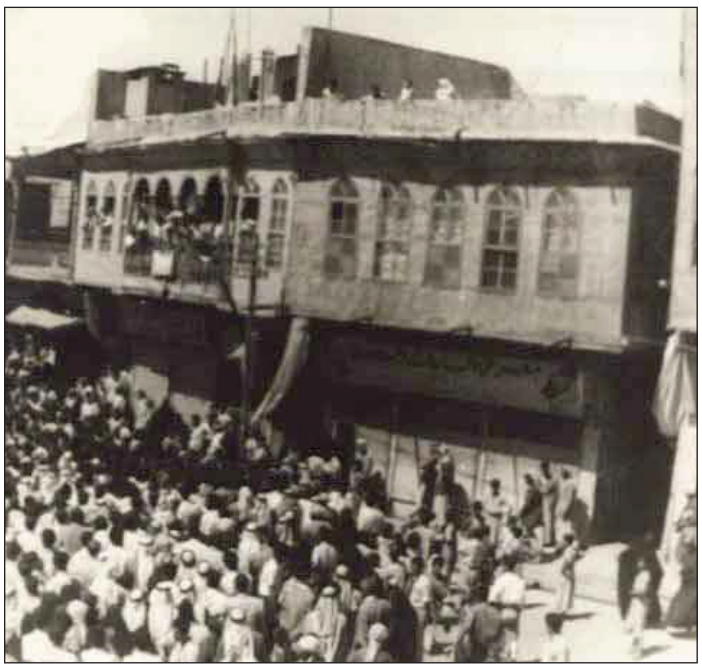

ثم وكالة سيكاير أبو عكال لصاحبها كريكور ، وصيدلية نوئيل ألجي التي بيعت إلى نجيب عبد الحميد الرزّو وسميت صيدلية نجيب ، فوق الصيدلية عيادة الطبيب الأرمني كربيت .

يلي الصيدلية دكان الحاج هاشم يحيى الرحّو أول مستورد للألبسة الجاهزة في الموصل ، ثم مجموعة من الخياطين ومصلحي الساعات ، خياطة المقص الذهبي لصاحبها ملاّ نذير ، وخياطة محمد وخليل إخوان ، وجمال محمد شيت وحميد محمد بائعا كهربائيات ، ونذير بشير بائع ساعات ، والخياطين نجيب هندي وجميل زلو وحنا غريبة ونيشان وسيد عبد البدراني ، وتنتهي بدكان عبد الساعاتي الصغيرة مصلح الساعات ، يليه زقاق مائل يعود إلى سوق السراي . في جهة الزقاق المواجهة للشارع دكان فتحي عبدالله القوندرجي وحميد البقال ، والخياط عبد السلام الحبار ومن بعده استأجر الدكان عبد الرحيم ملاّ خضر بائع قماش وقمصان ، ثم الخياط صديق محمد علي .

يلي ذلك الزقاق الرئيس المؤدي إلى الباب الخلفي لجامع عبدال وسوق السراجين ، وفي مدخله الأيسر دكان إبراهيم الجادرجي الخياط ، يليه دكانا عبد ودنون أولاد شهاب الحمامي بائعي راديوات منيرفا ، ثم خياطة عبد الستار وعبد الجبار ، وخزعل جبر الساعاتي ، والخياط مهدي صالح حطاب واستأجر الدكان من بعده زكي عبد الساعاتي . فوق هذه الدكاكين معمل صاحبه احمد النجم يصنع فيه حبراً للمطابع وأقراصاً بيض لصبغ كالات الرياضة وطباشيراً للمدارس .

ثم افتتحت عيادة للطبيبة النسائية شفيقة يحيى الملاح ، واتخذت بعد ذلك مقهى تراثياً صاحبه أبو داؤد يقدم الأغاني القديمة لأحمد الموصلي وإسماعيل الفحام . يلي الدكاكين دكان شيت محمد التتنجي وشغله من بعده ولده احمد بائع النقول ، ثم دكان عبد سليمان الساعاتي . يليه خان بابه من الجهة المعاكسة للشارع كان يسمى خان (العفرية) إذ كان يقصده أهالي تلعفر ، يباع فيه الفحم وحبوب الماء الفخارية ، صاحبه الحاج سعيد احمد العبيدي . وفي ظهره المطل على شارع غازي عدة دكاكين تعود إلى صانعي الحقائب الحديدية التي كانت تستخدم في السفر وحفظ الملابس في البيوت ، ويسمون (التنكجية) وهم سيد علي الهادي ، وسيد محمد وأخيه سيد نافع أولاد سيد عبدالله ، وإبراهيم علي التنكجي .

يلي الخان توالت عام ، ثم دكان جاسم الإسكافي ، ودكان عبدالله الجوادي الخياط ، ودكان محمد صالح الجايجي المثلث الشكل . يليه زقاق مائل يؤدي إلى سوق القهوجية والسراجين في سوق السراي . في هذا المكان يواجهنا دكان مرتفع تحته سرداب كان يشغله الخياط لويس حلبية ، واشغله من بعده محمود ذنون التنكجي بائع الموبيليات الحديدية ثم مثنى حديد . يليه زقاق يسمى زقاق المعصرة يمر حالياً خلف مصرف الرافدين / فرع الميدان فيه معصرة للسمسم الذي يصنع منه الراشي .

بعد الزقاق دكاكين كان يشغل عدداً منها عزيز فتحي الوكيل الوحيد في العراق لدراجات ومكائن خياطة الحدباء قبل أن ينتقل إلى قرب مركز السراي ، شغلها من بعده داؤد بائع القهوة ورؤوف الخياط وجميل بائع الصور والإطارات ، وبهنام (أبو نعوم) بائع الزجاجيات والشربات الفخارية التي كان يحتفظ بها في السرداب تحت الدكان . هدمت هذه الدكاكين وشغل الجديدة التي بنيت محلها سعدالله التكاي وكيل راديوات بوش .

وفي مكان مصرف الرافدين الحالي دكان إبراهيم عفاص ويعمل (جنكرجي) يصنع الهاونات النحاسية ويصب القوالب وأزرار الدومينة (البولات) ، ثم دكان بائع النقول إسماعيل خليل ، ودكان عزيز البسطجي ، وبائع النقول غائب ، والتتنجي هاشم البك ، ثم باب علوة الميدان للحنطة التي كانت هي وعلوة باب الطوب تزوّد أهالي المدينة بالحنطة لعمل الطحين والتموين السنوي للبرغل والحبية .

هكذا كان شارع غازي في قديم الزمان شارع يحلو للمرء أن يتجوّل فيه ويقف أمام معارضه الزجاجية ليشاهد الراديوات الحديثة والساعات والمواد الكهربائية البسيطة ، شارع يسوده الأمان والاستقرار والعلاقات الاجتماعية والتجارية الطيبة .

أهم ما أذكره عن هذا الشارع قبل نهاية الثمانينيات من القرن الماضي أنني كنت أترك سيارتي الحديثة مفتّحة الشبابيك على جانب من الشارع مع غيرها من السيارات لأمضي وقتاً في سوق الصياغ دون التفكير فيها ، وأعود بعد وقت طويل لأجدها بانتظاري ودون أن أجد ورقة بيضاء مقرفة على زجاجها لتقلني إلى بيتي بسلام واطمئنان ، وا حسرتاه على تلك الأيام الغابرة وهل يمكن أن تعيدها معجزة من الخالق الجبار عزّ وجل إنه على كلّ شيء قدير.

مغنيات عراقيات

عادل الهاشمي

الصوت النسائي العراقي بقي يعمل طبقا لمدارة خالصة خصته بها الاراء النقدية على امتداد حقبة زمنية كاملة. إن هذه الآراء كانت متأثرة بالمرأة نفسها بل أنها عدلت عن تناول الصوت المغني في المرأة، إنما تناولت غناؤها من خلال أنوثتها وجمالها وبقيت العواطف الزائدة هي التي تتولى طرح الآراء في الصوت النسائي فهي طفح مريب في الوجدانات الكاذبة، كثيرا ما دارت عجالة الحاجة العاطفية ! اما نطاق الخبرة والمعارف والاحتكام إلى القواعد الأساسية في فن الغناء . فبقيت محاط بتلك الانشغالات الهاشمية التي زينت الغناء في أنوثة المرأة المغنية لا في صوتها!

إن النقد الفني يتشكل من خلال الموضوع الفني .. ولنتعرف أن الانتشار السهل لتلك الآراء الناقصة عمل على محاصرة النمو الفني في الصوت النسائي العراقي .

والحواس الإنسانية الماهرة وهي تبدو كقوى للكائن البشري كان لابد لها من ان تنمي وتنتج .. فهي تهدف إلى تحسين المعرفة وإماطة اللثام عن خصوصيات العمل الفني ، الا ان هذه الحواس انحصرت في تجريبية ضيقة غير متلمسة ولا زاهية ، عملت على اشهار تقاليد محددة تنبت مهمة الدفاع عنها.

بقيت العلاقة بين الصوت النسائي والآراء السطحية المحزنة حيث اندمجت في مشاطرة جاهلة لفترة طويلة من الوقت!

والصوت النسائي اظهر مقاصده الفنية بطريقة سهلة ولم تكن الآراء التي واجهت هذه المقاصد إلا أحكاما مستعارة لا من صوتها وقواعده الفنية والعملية ، انما هي مستعارة من كائنها ايضا !

فالآراء هذه نجحت تماما في شطب الادوار الفنية التي يلعبها الصوت النسائي في الغناء وباشرت في التعبير عن الإعجاب بالأدوار التي تلعبها المرأة المغنية ، انها اراء مارست تاويلا ارغاميا على الجو متدهورا ورثا !

المناخ السيكولوجي والاجتماعي ساهم في خلق هذه الاراء المجاملة دوما للصوت النسائي على حساب الحقائق و المصنفات الفنية وقواعدها وشروطها .

وعليه فان مجالات التاويل الناشطة التي مارستها الاراء النقدية فيما يخص المحتوى الفني للصوت النسائي العراقي عملت على ان تبعد الفن الغنائي من حظيرة المعاني الاساسية الخاصة بكل قيمة صوتية بل ان هذه الاراء جعلت من الاصوات النسائية حتى التي ليست لها قيمة فنية تلاوة سحرية واداة جمال او تعبيرا مترفا عن المتعة النموذجية . ذلك ان الجانب التدميري الذي هز الغناء النسائي وطوقه هو ان هذه الاراء النقدية لك تكن التمرين الاكبر لها . فثمة اصوات نسائية يقود نبرتها الغنائية كائن مجهول يجعل من هذه الاصوات اداة له ! لايعرفون الصدق لانهم لم يمارسوا المعاناة الفنية الحقيقة ان اصواتهم المتواضعة المختنقة العاجزة الخالية من لمسات الاصالة والتالق والابهار ، ليست فيها ياة مسحة للمجاهدة او المران ، انها اصوات تزوغ باستمرار من الرنات الانسانية التي تمس شغاف القلوب وتهتز لوتافقات الالحان ، انها كينات تنتسب إلى الفن بشكل مدبج ناقص و ركيك .

وفي الفترة التي امتدت مابين ١٩١٧ وحتى السنوات الاخيرة من الأربعينيات، اتخذ الفن الغنائي وطنه في أصوات معدودة ، لقد برزت أسماء كثيرة من المغنيات ن لكن المدهش حقا ان الكثير الغالب من هذه الأصوات كانت متواضعة في كل شيء !!

في محاولات استرجاع القيم المستلبة في الصوت الغنائي ، نكتشف فقرها الحالي في اصوات المغني ، ذلك ان الأصوات القديمة كانت تلعب دورا محبوا بوحدة العراقة الصوتية بعيدا عن استخدام فرص المخادعة المخفية والظاهرة للاستماع ، ولذلك من يستمع الى الغناء القديم يكتشف القيمة الحقيقة لملامحه الطبيعية ، التي لا يمكن للاوهام المخادعة في النبرات ان تغطي على سحرها وجمالها وتالقها .

في مقالتنا سنتحدث عن اربعة اصوات نسائية عراقية كان لها شان فاعل في حياتنا الفنية على الرغم من السياقات النقدية السانجة التي احاطتها بها انذاك ، والاصوات هي زكية جورج ، سليمة مراد ، زهور حسين ، صديقة الملاية .

زكية جورج .. صوت رخيم دافئ

بدأت حياتها الفنية كراقصة واستمرت في اداء هذا الفن ثم نزحت من مدينة حلب مع اختها الى بغداد عام ١٩٢٠ ، تتلمذت على يد الملحن الكبير صالح الكويتي الذي دربها وبذل جهدا خارقا في اعدادها لأداء أصول الغناء ولحن لها أجمل ألاغاني واستمرت في الغناء حتى عام ١٩٤٢ حيث عادت إلى مسقط رأسها في مدينة حلب.

صوت زكية جورج من الاصوات الجميلة الرخيمة الدافئة المتمكنة الجذلة . لها اقتدار في الانتقالات بين نغم واخر حيث تسرى في نبراتها حلاوة خاصة وهي بهذه الصفات كانت متاثرة تماما بمدرسة منيرة المهدية في الغناء بالرغم من فارق المساحة الصوتية بينهما فان منيرة المهدية تفوقها في المساحة ... ولما ظهرت ام كلثوم وجدنا تاثرات المدرسة الكلثومية تاخذ طريقها الى حنجرة زكية جورج . كما انها تاثرت في جواباتها بالصدحات الفنية التي تصعد اليها باقتدار حنجرة الطربة اللامعة فتحية احمد . ينتمي صوت زكية جورج الى القسم الثاني من الأصوات النسائية وهو " السوبرانو " اي الندى الثاني ولكن على الطريقة الشرقية ، في صوتها الاذهب في الإسماع تمكن هنة فنية ، وهي ان استمرارها في الغناء يدفع نبراتها الى المنح والعطاء ، إلا أن هذه النبرات تتعرض مابين فترة واخرى الى الاحتقان في القفلات الغنائية على نحو لا تخطاه الأسماع . من شاف حبي وعرفه ، (يامن تعب يا من شكة ، يابلبل غني لجيرانك ، من غير أما حبيت انا) وغيرها.

سليمة مراد ... حنجرة صادحة

نبوغ في فن الغناء واقتدار لا يطاوله اقتدار في مجال اغناء النسائي العراقي تمتعت بحنجرة وهاجة اكتملت لها الادوات الفنية في المقدرة والدراية والتمكن والتذوق والاتقان . غنت على فرشة زمنية امتدت الى ثلاثين عاما ، الا ان اسمها بعد هذه الفترة بدا يتسلل من ذاكرة الاسماع ، اذ تقاعدت واتسراحت الى الظل الى ان انتقلت الى رحمة الله تعالى في نهاية عام ١٩٧٢ امتاز صوتها بجواباته العالية الصادحة التي تسري نبراته المكتملة الا ان الخلل الفني الذي عانى منه صوت سليمة مراد هو تجاوزه المتكرر لمقادير الغناء ، حيث بقيت هذه الخلخلة الصوتية ملازمة لها حتى في ايامها الاخيرة . ان الانطلاق الزائد للصوت الغنائي عن المقاسات اللحنية المصممة هو بحد ذاته لايعتبر خللا في السيطرة على الذبذبات الصوتية . المهم ان الغناء النسائي سيتوقف طويلا عند هذه المغنية الكبيرة التي امتلكت الصوت والمقدرة ولكنها لم تنجح في اضفاء المداراة اللازمة على هذه الموهبة بالعناية والراحة . بل ادمنت على السهر الزائد عن الحاجة مما اضر كثيرا بحنجرتها .

اهم ماترنمت به حنجرتها من اغان هي (كلبك صخر جلمود – ويلي اشمصيبة – هو البلاني – يانبعة الريحان – خدري الجاي – تدري بخبرنه – الهجر مو عادة غريبة – ايها الساقي اليك المشتكى) وغيرها .

زهور حسين .. بحة ريفية مؤثرة

منذ صغرها هوت الغناء وارتادت مجالسة المتنوعة وغشيت حفلات الأعراس حيث يلعلع صوتها ليمتد على مساحة واسعة من الاسماع وكانت في هذه الحفلات تتصرف كهاوية للغناء الا ان ممارستها لفنونه تعمقت وصار الغناء بالنسبة لها واقعا لا يمكن التخلص منه فاحترفت الغناء عام ١٩٣٨ وانتشر صوتها في الملاهي البغدادية وكثر مريدوها واستمرت في الغناء الى ان ماتت في حادث اصطدام سيارتين على طريق بغداد – الحلة عام ١٩٦٥

صوتها صادح وواسع المساحة فيه شجو جميل وترنم مؤثر الا ان نبراتها الريفية تارة تصفو وتحلو وتارة تسغب ! ويرجع هذا الاختلال الى الظروف الحياتية التي عاشتها ويمكن القول ان الطبقة التي تغني منها كثيرا ماعانت من رنات غير نفسية على الرغم من اجتماع القوة والشجو والبحة الشهيرة المؤثرة في صوتها الا ان معدن صوتها غير نفيس انما يغشاه في الكثير الغالب رخص يزداد بتقطيع صوتي يميل الى الابتذال وتنعدم فيه روح التعبيرية تماما .

تميز صوتها بالجوابات العالية الصادحة المنتشرة الا ان الضعف الذي يواجه صوتها يمكن في قراره او طبقته الصوتية المنخفضة ، غنت الكثير من الحان الفنان عباس جميل اشهر اغانيها (سليمة يا سلامة – ضلام ماعدكم رحم – غريبة من بعد عينج يا يمة – يبلي جيت اهل الهوى – سيل يا دمعي – اه من هذا الوكت – انت الحبيب) وغيرها .

صديقة الملاية .. جهارة غليضة وحادة

بدأت الغناء عام ١٩١٨ اسمها الحقيقي " فرجة " بنت عباس ثم أطلقت عليها مجالس التعزية الحسينية النسائية اسم (صديقة) واضيف لها لقب الملاية كناية عن الصداح والجهارة المؤثرة القوية التعبير التي كان يتمتع بها صوتها داخل المجالس امتازت بصوت رنان عميق قوي يعتبر كنزا من الكنوز فيما لو تعهدته بالرعاية والعناية والتربية الفنية المحكمة الصحيحة .

لكن هذا الصوت النادر انحدر انحدارا مخيفا وحاصرته انشغالات طاحنة واجهت حياتها لتجبرها أخيرا إلى الخلود للراحة والاستقرار حيث أنعمت عليها دار الإذاعة للعراقية بمنحة شهرية لسد حاجتها.

أجادت على نحو عجيب غناء بعض المقامات العراقية السهلة وألمت بمعرفة خبيرة بجميع الأغاني العراقية القديمة. إن صوتها عانى من بعض الغلظة التي تجسمت في السنوات الاخيرة من حياتها الفنية فهي تغني بأقصى الطاقة مابين القرار والجواب بنبرات غليظة فخمة وحادة وتسلل اسمها من ذاكرة الأسماع لكن بقيت لأغانيها تلك الحلاوة الخاصة التي تميزت بها واشهر اغانيها (يصياد السمك – للناصرية – جواد جواد مسيبي – عبود اجه من النجف – افراكم بجاني – ريبتك ازغيرون حسن) وغيرها .

عمامة الشيخ جلال الحنفي .. والرصافي

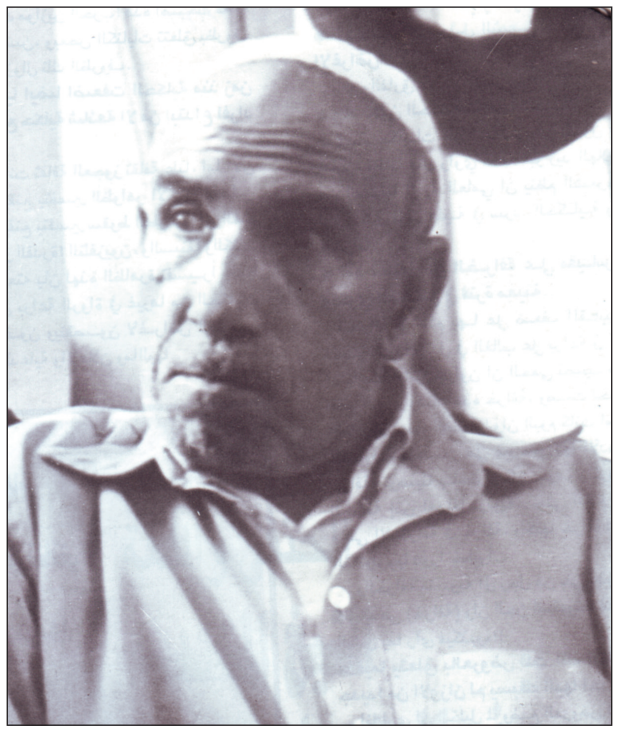

بعد أن كتب الشيخ الحنفي مجموعة من كتاباته يمتدح فيها الشاعر الزهاوي الذي كان خصما لدودا للشاعر معروف الرصافي، أراد بذلك أن يمسح الشاعر الرصافي من خارطة الشعر العراقي، لذا نرى أن الرصافي اخذ يسخر من صغر عمامة الحنفي واصفا إياها بالعمامة الغريبة في العراق، ليسخر بالتالي من الحنفي ذاته، كما انه كتب قصيدة على هامش كتابات الحنفي، اسقط فيها الحنفي (سلوكا) ما جعل الأخير يذهب إلى النجف ليطلب من المراجع الدينية العليا فتوى تكفير الرصافي، حاملا بيده قصائد للرصافي تلمح إلى الإلحاد أو شبيه به، لكن المراجع رفضوا تكفير الرصافي (لان تفسير الشعر يخضع لاتجاهات عدة).

ظل الشيخ الحنفي ومنذ العام ١٩٤٥يطارد الرصافي شعرا ونثرا في مجالس بغداد، وفي بداية العام ١٩٦٢ اصدر الحنفي كتاب (الرصافي في أوجه وحضيضه) من خلال ٤٠٠ صفحة (في الجزء الأول والجزء الثاني بقي خطيا) وكان الكتاب روعة في النقد البياني لشعر الرصافي وآية في النقد البلاغي والتحليل الدلالي وسمو الذائقة الشعرية فيه وسمو علمه بالنحو والصرف والإبدال والإعلاب.

ولم يقذع الحنفي الرصافي كما أقذع الرصافي بالحنفي، وإنما التزم الحيل الشرعية في النقد الخالص ليعري سقطات الرصافي وهفواته وجنونه في الاستخدامات البلاغية والنحوية، وعد كتابه بأنه يصلح أن يدرس في الجامعة كأنموذج نقدي على مدى القرن العشرين.

سر التراب الذي تحول إلى قنابل في طوب (أبو خزامة)!

جواد عزيز

ترك السلطان العثماني مراد احد مدافعه الثقيلة بعد مغادرته بغداد في باب القلعة ليصبح بعد ذلك شبه قديس، ينسبون إليه الكرامات وينسجون حوله الأساطير، وأطلق عليه البغداديون اسم (طوب ابو خزامة) وتعود تلك التسمية إلى وجود خرق صغيرة في فوهته يشبه المنخر، وتقول الأساطير الشعبية عن ذلك المنخر، إن المدفع كان في السماء عند حصار بغداد وان الله أمر الملك (جبريل) عليه السلام أن ينزل به لمساعدة السلطان مراد على فتح بغداد، فنزل به يقوده من منخره ، وتقول أساطير أخرى إن الأسماء المنقوشة على جانبيه قد لصقت به عند نزوله من السماء واجتيازه (بحر القدرة)، وانه كان يلتقف التراب ويحوله بقدرة الله إلى قنابل يقذف بها العدو المحاصر لبغداد، وان المدفع رمى بنفسه في نهر دجلة غاضبا بعد أن ضربه السلطان بقبضة يده، مما اضطر السلطان إلى أن يسحبه من منخره ويعيده إلى الشاطئ.

كانت النساء يتباركن بـ (أبو خزامة) وينذرن له النذور ويربطن به الخيوط على منوال ما يصنعن في المراقد المقدسة، و يأتين بمواليدهن في يومهم السابع ليطوفن حوله ويدخلن رؤوسهن في فوهته ثلاث مرات.

وظلت تلك العادة جارية حتى عهد متأخر مما اضطر السيد محمود شكري الآلوسي في أواخر العهد العثماني إلى أن يكتب رسالة في شجبها عنوانها (القول الأنفع في الردع عن زيارة المدفع) والذي علق عليها السيد محمد بهجت الأثري قائلا (القول الأنفع في زيارة المدفع ..

رسالة في مقاومة بعض مظاهر الوثنية التي راجت عند العوام، والمدفع المذكور هو من مدافع السلطان مراد العثماني التي استخدمها في قتال الفرس لإخراجهم من بغداد، وضع في مدخل الثكنة الشمالية ببغداد رمزا للقوة، واشتهر باسم (طوب ابو خزامة) وقد نسجت حوله الأساطير وحكيت الغرائب من أمره في فتح بغداد، كأن ما استشعره البغداديون من ذل الاحتلال الفارسي قد دفع عامتهم إلى هذه الأقاصيص، وكان شأنهم في أول الأمر معه شأن المعجب، ثم استحال الإعجاب مع الأيام إلى التبرك به وتقديسه، فإذا هم ينذرون له النذور ويعلقون عليه التمائم ويقبلونه، وعظم ذلك في نفوسهم حتى استعصى إقلاعهم عنه ن ولم تغن معه المواعظ فكتب الآلوسي هذه الرسالة باحثا فيها في تاريخ هذا المدفع والمفاسد الناجمة منه، وقدمها إلى المشير هدايت باشا ليردع العوام عن زيارته وتقديم النذور اليه وقد ترجمت الرسالة الى اللغة التركية).

وظل الناس يتباركون بالمدفع ولم يتركوا تلك العادة إلا بعد أن تم نقله إلى المتحف الحربي في الباب الوسطاني قبيل الحرب العالمية الثانية وقد نسيه الناس آنذاك ونسوا كراماته، وأعيد المدفع إلى ساحة الميدان قريبا من موضعه الأول وصنعت له قاعدة متينة، وهو حاليا اثر قديم لا قدسية له.

لا يزال الجدل يحتدم حول أصل الموناليزا العراقية أو (صمانجي قيزي) أو (كجي كافروش) أو (بنت المعيدي) وأيهما هو الصحيح!!
ما زالت المخيلة الشعبية التركمانية العراقية تحتفظ بالكثير من الصور والحكايات المثيرة، والحوادث النادرة التي تجاوزت أحياناً حدود المعقول إلى عالم من الخيال والأسطورة مع مرور الأيام، من جراء التحديث الذي يجري عليه عادة وبما يكسبه من الإغناء الشعبي، التداول من شخص الى اخر لتدفع بها نحو آفاق إنسانية ورومانسية رحبة. وخاصة في تلك القصص الدرامية الفطرية المتداولة، والتي حملت في طياتها حوادث مأساوية أو اكتنفتها فواصل مؤثرة، فما زال الكثير من شيوخنا وأمهاتنا في كركوك وأربيل يذكرون ويتذكرون، ويتداولون حكاية رومانسية مؤثرة تحمل اسم (صمانجي قيزي) وتعني بالتركمانية ابنة التبان..

مـا أصل قصـة "الموناليزا" العراقيـة؟

جواد الروميثي

تلك الصورة الجميلة ونظرة صاحبتها الحائرة المحيرة بين الألم والمسرة، بين الحزن والفرح.. والتي اكتسبت شهرة واسعة في العراق بنظرتها كما في نظر وشهرة صورة موناليزا في أوروبا والتي تشابهها باعتقادنا في النظرة الحائرة المحيرة ولكن تباينها في الجمال الطبيعي إذ تتفوق جمالية صورة فاطمة (موناليزا العراقية) على رديفتها الايطالية (جيوكاندا) بالجمال والاشراقة والحضور!

الناقد تشكيلي كاظم الجيزاني يحاول أن يقارن بين اللوحتين فيقول:

. الجيوكاندا التي رسمها الرسام الايطالي الشهير ليونارد دافنشي بين عامي ١٥٠٠-١٥٠٤ تعني بالايطالية الشمعة المحترقة بعد أن لاحظ على المدام ليزا مدى حزنها لأنها تزوجت رغم إرادتها من رجل لا تحبه! اعتقد هنا نقطة التشابه بين اللوحتين في النظرة الحزينة المحيرة على خلفية الزواج الذي تعرضن له رغم إرادتهن! فاطمة أيضا زوجت من ضابط انكليزي رغم إرادتها ورحلت إلى انكلترا سرا (حسب اغلب الروايات).

.إذن مسحة الحزن على الوجه المشرق الجميل كانت لربما إحدى ميزات اللوحة التي عشقها جيل أو أجيال من شبابنا كنموذج وأصبحت فتاة أحلام الفقراء والمتعبين من عامة الناس الطيبين الذين لم تفارق صورة بنت التبان جدران غرفهم وأكواخهم وحقائبهم الخاوية وحتى محفظاتهم الجلدية في جيوبهم.. ولربما كانت هذه الصورة بلسما لوجعهم الدائم، وشفاء مؤقتا للفقر الذي لازمهم منذ الأزل رغم طوفان نفوطهم وكنوزهم إلى الهامة.

صمانجي قيزي يمكن اعتبارها، بحق فتاة الغلاف لعقود متعددة أي ان بوسترات صورها الملونة المؤطرة كانت لا تفارق واجهات وجدران الدكاكين والمطاعم والمقاهي الشعبية وكذلك جدران البيوت سواء في المدن او الارياف العراقية وخاصة في اربيل وكركوك وسائر المناطق العراقية الاخرى، فيما كانت حكايتها المثيرة لا تفارق الألسن ولم تنقطع من التداول وليومنا هذا ولكن بدرجة اقل، وخاصة في عقد العشرينيات وحتى الثمانينيات من القرن الماضي وما تلتها من عقود حيث لم نتوصل لتحديد تاريخ الحدث بالذات، وإنما كان هناك تداول ملموس لمجريات قصة هذه الحسناء التركمانية الطاغية الجمال والتي اختلط جمال وجهها بدرامية مأساتها فيما انعكست لربما بشكل ما على الحس الوطني العراقي لتعمق جرحا بليغا في وجدانه الأخلاقي والقيمي، حين تركت بصماتها الواضحة على ذوق المجتمع العراقي وعلى حسه الجمالي.. هذه الصورة الحاضرة عبر العقود والتي تمثل بحق الجمال الأنثوي العراقي الطبيعي والتي أصبحت أنموذجا فريدا لمقاييس الاختيار وموديلا معياريا لمديات الحسن والرقة والجمال أمام أجيال الشباب، وعلى مدى عقود متعددة، ولعلها أيضا أصبحت فتاة الأحلام لهم ومصدر الهام للكثير من الشعراء والعاشقين، حينا من الزمن! فما زالت تلك الصورة عالقة في أذهان الناس، وحكايتها ما زالت حاضرة بين البعض.. يقول أيوب جامجي (صاحب محل زجاج وإطارات منذ ربع قرن في كركوك) الذي يحتفظ بصورتها الأصلية المطبوعة في لندن: عشقت القصة قبل الصورة، منذ سمعتها متداولة على ألسن والدي وبعض المعمرين من الاختيارية في قريتي منذ صغري! وبحثت سنين طويلة عن صورة أصلية لها إلى أن اشتريتها بمبلغ محترم منذ أكثر من سبع سنوات وقد دفع بها احد الهواة مؤخرا مبلغا كبيرا من المال دون جدوى لأنني اعتبرها جزءا مهما من حياتي وشخصيتي الكركوكلية!

وينسب الكاتب إسماعيل قلعالي في بحث له في (جريدة المصير الأسبوعية التركمانية الصادرة عن الجبهة التركمانية العراقية في ديالى) أصل الموناليزا العراقية (صمانجي قيزي) إلى أسرة تركمانية من مدينة أربيل من الحي السكني القديم الواقع في أحضان قلعتها التاريخية استنادا إلى روايات موثوقة لأشخاص يعرفونها جيدا ويرتبطون بعائلتها بصلة القرابة يسكنون محلة قلعة أربيل، عندما يتطرق من خلالها إلى أصل قصة هذه الفتاة الحسناء مسجلا:

.تنحدر هذه الفتاة من عائلة تركمانية متعففة الحال ومن أب يعمل تبانا (صمانجي)، وكانوا يسكنون محلة القلعة التي يعود تاريخها إلى آلاف السنين، وفي يوم من الأيام وعندما كانت تقوم بكنس وتنظيف عتبة الدار صادف مرور مجموعة من الضباط الانكليز! بهر احدهم بجمالها وتسمر بمكانه مصدوما من فرط جمالها ومعجبا ببياض وجهها ورقتها.. وما هي إلا أيام حتى جاء إلى أهلها مع بعض الوجهاء والمتنفذين في المدينة طالبا يدها للزواج، وامام رفض والديها بسبب اختلاف الدين واسباب اخرى! استقتل الضابط الانكليزي وأعلن استعداده لدخول الدين الإسلامي للاقتران بها! و بعد عدة محاولات باءت بالفشل مارس الضابط الانكليزي ضغوطاً نفسية ومادية وحكومية! تمت الموافقة وحسب استحقاقات معينة في تلك المرحلة! تم زواجه منها (وكانت سابقة اجتماعية مثيرة للجدل انذاك في مجتمع لم يعهد ولم يستوعب هذه الحالة)! وبعد زواجهما بأشهر غادر الزوجان مدينة أربيل إلى لندن اثر انتهاء مهام عمل الضابط البريطاني في العراق.

وقيل بأنهما أقاما في لندن بقية عمريهما و عاشا عيشة سعيدة! وبما أنها اشتاقت لأهلها! فقد استعان الزوج بأحد أشهر الرسامين الانكليز ليرسمها)بورتريت) فاندهش الرسام أيضا بهذا الجمال الصارخ فأنتجت فرشاته هذه اللوحة الفنية الرائعة. فأرسلها الزوج من باب الوفاء إلى أسرتها للتخفيف عنهم من وطأة فراقها! فكان أن انتشرت الصورة بشكل سريع بعد ان قامت شركة طباعية بريطانية بطبعها وتوزيعها على نطاق واسع لتزدان بها بيوت قلعة اربيل على اعتبارها (بنت المحلة) ومن باب الافتخار او الفضول لتنتشر الصورة على نطاق واسع في المدن العراقية الاخرى وفي سائر انحاء العراق كما انتشرت قصة رحيلها الى انكلترا ولكن بروايات متعددة وبتفاصيل مغايرة ومحورة! نسبت ايضا الى عدة اقوام

ومناطق! حيث ذهب البعض بانها عربية من السماوة فيما ذكر البعض الاخر بانها من مدينة الحلة او من البصرة او العمارة او غيرها من مدن الجنوب وحملت لقب (بنت المعيدي) وهكذا ولربما هناك روايات اخرى لم تطرق سمعنا! فيما ينسبها البعض احيانا الى المناطق الكردية و يسمونها (كجي كافروش) وهذا المصطلح هو ترجمة حرفية لـ (ابنة التبان) العربية و(صمانجي قيزي) التركمانية ومن الجدير ذكره ان المقصود هنا ابنة عامل اوبائع التبن (كمهنة) وهي ليست منسوبة على الاغلب لاسرة آل (صمانجي التركمانية المعروفة في كركوك)...

ونعتقد بان تعدد الالقاب والنسب او الانتماء يعود سببه الى عاطفية الشعب العراقي والشفافية التي يتسم بها حين امتزجت جمالية الصورة بدرامية قصة (صمانجي قيزي) وفقدان البطلة من بعد كما يقول الباحث نجاة كوثر (رئيس تحرير جريدة تركمن ايلي) الكركوكلية مؤكدا بان بطلة القصة وصاحبة الصورة تركمانية وقصتها الحقيقية ما زالت حاضرة في ذاكرة شيوخنا وعجائزنا، والذين يروونها بحذافيرها عن ظهر قلب رغم مرور عدة عقود...

فكرة انتماء الموناليزا العراقية الى محلة القلعة في اربيل.. فيما يعتبر الروايات التي أثارت وتثير الحفيظة وتجرح مشاعر العراقيين والتي مفادها قيام الضابط الانكليزي بخطفها بعد الغدر بابيها او زوجها والذهاب بها (وهي في حالة تخدير) إلى انكلترا! بعيدة عن الواقع! وحسب وجهة نظره يرى أن رواية زواجها في أربيل اقرب إلى الحقيقة مستشهدا بوجود أغنية تركمانية تندرج ضمن قائمة الأغاني التراثية لرائد الأغنية التركمانية في اربيل محمد احمد اربيللي عن (صمانجي قيزي) وهذه الاغنية مسجلة في دار الإذاعة العراقية منذ الستينيات من القرن الماضي والتي يقول في مطلعها (صمانجي قيزي... اون دورت ياشينده) اي ابنة التبان ذات الأربعة عشر عاما...

ويقول ايوب جامجي (عاشق موناليزا العراق) كل الذي أريد قوله عن تعلقي بهذه الصورة كونها تعبر بصدق عن الجمال العراقي الطبيعي البريء وكذلك لانحدارها من اسرة متعففة! وقصة تزويجها من ضابط بريطاني بقوة النفوذ وسطوة السلطة او تأثير المال ومن ثم سرقتها او تهريبها بطريقة ما (كما تقول بعض الروايات) الى بريطانيا هي المأساة بعينها! وكلما انظر الى الصورة يقفز سؤال ازلي الى ذهني: لماذا يستحوذ المستعمر او المحتل على كل شيء جميل وثمين في بلادنا... لماذا؟ مهما قيل في موناليزا العراق ومهما روي عنها، تبقى لوحتها ونظرتها العميقة تحكي الحقيقة مع الزمن، وحتما ستترك انطباعات واحاسيس مختلفة على ناظريها حالها حال لوحة الموناليزا العالمية ونظرتها المحيرة.. وستبقى الموناليزا التركمانية هي الأجمل في نظرنا لأنها موناليزا عراقية بحسنها الفطري ووجها الصبوح وهي الأجمل دائما من تلك الموناليزا العجوز الكئيبة الجيوكاندا! في نظرنا على الأقل وستبقى تحكي الوجع العراقي الأزلي مع الزمن.

وهنالك رأي آخر أورده الكاتب خالد النجار في احد المواقع الالكترونية (منتديات العراق) يقول فيه:

أن فتاة كردستان المذهلة أو كما كانت تسمى في الحضارة الكردية بـ"كجي كافروش" تلقت الاهتمام نفسه الذي تلقته "الموناليزا" في الحضارة الأوروبية الحديثة فقد كانت تلك الفتاة رائعة الجمال وجذابة ومثيرة وكان صعبا جدا أن يخلو بيت من بيوت كردستان من صورتها الرائعة وحتى أن البعض كان يعلق صورتها في كل غرفة من غرف الدار، ومن جمالها كان يضرب بها الأمثال، فحين توصف أي فتاة جميلة في كردستان يقال عنها "كجي كافروش".

فمن هي "كجي كافروش" ومن هو رسامها؟

قبل أن تصبح صورتها الرائعة تحفة فنية خالدة قال عنها البعض إنها فتاة حقيقية فهذه الجميلة "كجي كافروش" لها قصة أسطورية كقصص ألف ليلة وليلة، حتى أن اسمها قد تغنت به حناجر المطربين من خلال الأغاني الفولكلورية الكردية في جميع أنحاء كردستان، وقد تغنى بها المطرب الكردي الراحل وبلبل كردستان الفنان "حسن زيرك" عام ١٩٥٠ والفنان "محمد احمد اربيلي" عام ١٩٧٠ ولها أغنيتان شعبيتان جدا تصفان جمالها وحسنها.

ويقال عن "كجي كافروش" إنها ألهمت البريطانيين الشعر من جمالها ورقتها عندما هجموا على كردستان عام ١٩١٨ حتى أن البعض من قادتهم عشق صورتها قبل أن يأخذوها "أسيرة" معهم بالطائرة حيث تقول الرواية بأنها رفضت أن تكون سجينتهم أو أسيرتهم لذلك قفزت من الطائرة وفضلت الموت على أن تكون مع الغزاة.

وبالرغم من مأساوية الحادثة سواء كانت "حقيقة أم غير حقيقة" لكنها ألهمت الأدباء والشعراء وكل من سمع بتلك القصة العزم والثبات وانبهر الجميع بشجاعتها وعنفوانها في الشرق والغرب وفي دول العالم.

وقد كان للرسامين والفنانين حصة بذلك حيث قام الرسامون الكلاسيكيون برسم صورتها وأبدعوا في أن يجعلوا منها لوحات تاريخية مؤثرة وانتشرت بشكل مكثف صورها وأصبحت "كجي كافروش" موناليزا وكردستان، موضع إعجاب الرسامين الانكليز وكذلك الألمان وأصبحت صورها لوحة عالمية مثل الموناليزا والعشاء الرباني وغيرها من الرسوم العالمية وأصبحت ثابتة في متاحف الفن في أوروبا وحتى أمريكا، هذا بالإضافة إلى شهرتها في الشرق حيث أصبحت فتاة كردستان او موناليزا كردستان تسمى في تركيا "بنت الحدباء" وفي الدول العربية تسمى بـ"فاطمة" وفي بغداد كانت تسمى بنت المعيدي وان كجي كافروش "موناليزا وكردستان" قد أصبحت جزءا من الحضارة وتحفة فنية إنسانية رائعة.

وهذا رأي آخر للكاتب ئه فين جرمكَا نشره على موقع قوس قزح الالكتروني جاء فيه:

من ضمن مقتنيات والدي التي يعتز بها كثيراً ، صورة فتاة جميلة وجذابة رسمها ريشة فنان مبدع وكبير .. لايمكن أن يكون غير فناناً عالميا مشهورا !!!.

ياترى ما سر تلك الصورة؟؟؟ ولم كل هذا ألأعتزاز بها ...؟؟؟.

في جلسة مطولة سألت والدي عنها... ضحك وبدعابته المعروفة معنا و قال :

. أنها فتاة جميلة وأنتهى !!!.. ولماذا تريدين معرفة المزيد؟؟.

قلت له :

ياوالدي العزيز.. أعرف أننا من عشيرة / كافروشي ونحن من نترأس هذه العشيرة عن سابع أجـداد... هـذا هـو القصد.. ما علاقتنا بهذه الفتاة ؟؟؟... هل هنالك من ربط وعلاقة بها ؟؟؟.

حينها بدأ يسرد قصتها :

أنها / كجة كافروشيكة .. وأهلنا في جنوب الوطن يطلقون عليها (بنت المعيدي) .. وهذه الصورة دخلت أغلبية دور العراقيين من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغـرب.. يكفي بـأن الشعراء والمطربون تغنوا بها منهم المطرب الكبير / حسن زيرك بالكردية ومحمد أحمد أربيلي بالتركمانية . يمانجة قزي..

أحتفظ بها منذ سنوات طويلة.. كانت معلقة في دار العائلة.. وكنا نملك أكثر من صورة لها.. حيث في غرفة الضيوف وغرفة العائلة .. ولسنا وحدنا من كان يملكها.. لاء لقد أمتلكها كل الناس.. صورتها كانت لابد منها .

هنالك روايـات عديدة والملفت للنظر أن الروايات الكردية متطابقة تماماً مع الرواية العربية ومنها :

أولا : عند دخـول الإنكليز إلى العـراق / ١٩١٨ شاهدوا هذه المرأة الجميلة.. بعد تخطيط وتفكير يختطفوها إلى بريطانيا.. ويقال أنها لم تستطع تحمل هذه القرصنة والاعتداء لذلك رمت بنفسها من الطائرة وانتحرت طبعا!.

ثانياً : أن زوجها كان حارساً عند أحد المسؤولين الإنكليز.. أنبهر بحبها.. لابل أصبح مجنونها.. يتغنى بها... فكر بطرق عديدة أن يغريها ويقترب منها ولكن هيهات !!!.

وأخـيرا وبطريقـة شيطانية ومصيدة أستطاع إجبارها وخداعها على الهروب معه الى بريطانيا ومن هناك يرسل صورتها الى زوجهـا الـذي أصيب بـالجنون لحبه لها ولسوء حظه وسمعته بين أهله وناسه وأهالي المنطقة.

ويـقـال أنـه (زوجـهـا) انـتـحـر بسبب تلك الفضيحة والحادثة المؤلمة.

وبـدوري أصبحت أفتش عن هذه التحفة الجميلة.. هذه اللوحة الرائعة.. للأسف الشديد لم يكتب عنها إلا القليلون ، وحينما أقارن بين اللوحتين (مونا ليزا دافينشي وكجة كافروشي) أحن وأنجذب أكثر الى (الثانية) ... فلا تتعجبوا يا ناس.. بعد سماعي قصتها ومعرفة أصلها ونسبها أحببتها وكأنها قريبة مني وأعرفها من زمان.. لذلك طلبت من والدي أن أعلقها في غرفتي لأصبح على وجهها الجميل (صباح الخير يا أجمل أمـرأة في الكون) .. وقبل النوم أقول لها : تصبحين على خير ياوجه الخير ... هل من يلومني..؟؟؟. ...

نعم هذه الفتاة الجميلة موناليزا وكردستان بحق.. سبحان الخالق.

والان اي الروايات هي الأقرب الى الحقيقة؟ ولكن مهما اختلفت تلك الروايـات ..فهي عراقية سواء من كردستان او من الشمال او الوسط او الجنوب..

أم كلثوم .. لماذا لم تغن في حفل زواج الملك فيصل الثاني؟

ذكرت الأميرة بديعة وريثة العروش في إحدى مذكراتها عن سيدة الغناء العربي أم كلثوم قولها : انه في العام ١٩٤٣ أراد أخوها الأمير عبد الإله ، أن يخفف عمّا عانوه من حركة رشيد عالي ، وما تبعها ، من نتائج سياسية قاسية ، وإن كان قد مضت فترة من الزمن ، إلا أنه أرسلهم إلى مصر ، ونزلوا في مقر السفارة العراقية بالقاهرة ، في حي الزمالك عند السفير تحسين العسكري ، وكانت مصر جميلة تنسي زائرها همومه وأشجانه ، وبعدها عادوا إلى بغداد ، وفي السنة التالية قرروا الاصطياف في الإسكندرية ، فأمر الملك فاروق بلدية المدينة الساحلية ، أن تعد لملك العراق ساحلاً على الشاطئ "بلاجاً خاصاً" ، وبقيا في الإسكندرية حتى أكتوبر عام ١٩٤٤ وكانت ضيفتهم الدائمة والعزيزة عليهم والتي تشرب القهوة معهم يومياً على الساحل هي السيدة أم كلثوم ، صديقة أختها الأميرة عبدية الشخصية ومطربتها المفضلة، تستمتع إلى أغنياتها باستمرار، وتتصل بها هاتفياً وتكلمها، سواء من بغداد أم من الإسكندرية ويتبادلان الرسائل والصور والأحاديث.

كان من المقرر أن تغني أم كلثوم في حفلة زواج الملك فيصل الثاني عام ١٩٥٨، وقد وعدتهم فعلاً، غير أنه قتل قبل أن يُزف إلى عروسه، ولم تسأل عنهم أم كلثوم بعد مقتله، ولم تتابع أخبارهم بالرغم من أنهم قضوا فترة من حياتهم في مصر بعد الانقلاب. وتقول بديعة ربما أتلمس لها الأعذار، في أنها لم تعزني بمقتل صديقتها أختي الأميرة عبدية، برغم أنها لا تستحق ذلك ، لكنني لا أجد لها عذراً ، في أنها غنت لبعد الناصر قصيدة الجواهري في مدحه بعد مقتل أهلي ، ولهذا انكمشت نفسي منها. وتستمر الأميرة في سرد هذه الذكرى في أسى قائلة: موقف أم كلثوم هذا يذكرني بموقف آخر ، مغاير تماماً ، للسيدة الإنكليزية (مسز ريميرز) مدرسة الملك فيصل الثاني ، ظلت بعد مقتل أهلي تتسقط أخبارنا ، وتسأل عنا أين حللنا ، حتى عثرت علينا يوماً في الستينات ببيروت ، فجاءت لزيارتنا ، وبعد زواج ولدي الشريف محمد في الثمانينات ، وانتقاله إلى أكسفورد زارته يوماً ، وقدمت له أواني من فضة كهدية لزواجه ، أرادت (مسز زيميرز) أن تؤلف كتاباً عن الملك فيصل الثاني ، فقد قضت معه فترة ، تراه فيها يومياً ، تعلمه وتربيه وتشرف على حركاته وسكناته ، وهي تعرف عنه الشئ الكثير . إن هذه السيدة الإنجليزية في ثمانينات عمرها الآن وأتوق لرؤيتها وأتشوق لسماع أحاديثها ، برغم أن صوتها ليس طروباً ، لكني سئمت الاستماع إلى أم كلثوم .!!

عن كتاب وريثة العروش للاميرة بديعة

فكرة انتماء الموناليزا العراقية الى محلة القلعة في اربيل.. فيما يعتبر الروايات التي أثارت وتثير الحفيظة وتجرح مشاعر العراقيين والتي مفادها قيام الضابط الانكليزي بخطفها بعد الغدر بابيها او زوجها والذهاب بها (وهي في حالة تخدير) إلى انكلترا! بعيدة عن الواقع! وحسب وجهة نظره يرى أن رواية زواجها في أربيل اقرب إلى الحقيقة مستشهدا بوجود أغنية تركمانية تندرج ضمن قائمة الأغاني التراثية لرائد الأغنية التركمانية في اربيل محمد احمد

صورة للاعلامية سعاد الجزائري كما نشرتها مجلة المصور المصرية عام ١٩٧٥ وفي الاطار صور للحياة الجامعية في العراق في السبعينيات

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي - رفعت عبد الرزاق
التصميم: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون